— نصنع قوارب من الاشجار النابتة على ضفافها
— وكيف نصل الى داڤسون سيتي (Dawson City)
— نصل اليها اذا وافقتنا الاحوال ونجحنا في كل شيء. وعلى الخصوص اذا لم ينقلب بنا القارب . . . واظنُّك لا تجهل السباحة يا خواجا. والّا فلا فائدة من ركوب القارب لان هذه البحيرة قد طالما ابتلعت كثيرين من المهاجرين
— لا تخف من هذا الوجه
— اعلم انه اذا وافقنا الجدّ نصل الى الغاية من سفرنا بعد مضي عشرين يومًا

الفصل الحادي عشر

في مستشفى مدينة داڤسون

كانت الثلوج تتساقط منذ بضعة ايام وقد اعتكر وجه الجوّ واسودَّت جوانبهُ وظنَّ القائم هناك في ظهيرة ايلول أنهُ في عشية يوم متلبد الضباب كثير الغيوم من شهر شباط لضعف النور رغمًا عن كثافة الثلج الذي غطّى الارض. امَّا البرد فكان قارسًا ولذلك هبط الميزان الى الدرجة العشرين منذرًا بتواصل الهبوط الى ما دونها حتى تبادر للذهن أنهُ لا تمرّ بضعة ايام حتى تتوارى مدينة داڤسون تحت هذا الكفن الابيض

وكان في هذه المدينة الصغيرة الناشئة جديدًا مستشفىً لايواء المرضى ومعالجتهم وقد تشيَّد كسائر منازل البلاد من الخشب بطول ثمانين قدمًا في عرض ثلاثين غير انهُ يظهر من حسن ترتيبهِ ونظامهِ ان ايدي قوم من ذوي الدراية والشفقة قد تولَّت وما زالت تتولَّى تدبيرهُ. وهو يشتمل على طبقتين منقسمتين الى غرف صغيرة فيها مواقد كافية لاجل تدفئتها امَّا منافذهُ فمضاعفة وعليه سجوفٌ كثيفة لا تدع ادنى مسلك لدخول الهواء البارد من الخارج

وقد ضمَّ المستشفى المذكور نحو العشرين مريضًا وكانوا وقتئذٍ رقودًا الَّا انهم كانوا يتنفَّسون بجهد وصعوبة وكأنَّ حجارة ثقيلة على صدورهم وكلُّهم ممَّن فقدوا الصحة بسبب شغلهم في مناجم الذهب واقامتهم تحت جوّ تلك الاصقاع الباردة

وكان في المستشفى المذكور راهبة من اخوات المحبة اسمها جانّ ماري فكانت

تعنى بخدمة المرضى وتعزيتهم وتجد بذلك لذَّة عظيمة شأن من هجروا العالم انقطاعاً لخدمة البشر خدمة حقيقيَّة ولذلك كان سرورها عظيماً لمَّا قال لها طبيب المستشفى ذات يوم: « ان المريض الراقد في السرير المعدود بالعدد الثامن قد زال عنهُ الخطر »

فوقع هذا الكلام منها احسن موقع وشكرت الطبيب على هذه البشارة المفرحة.

وبيان الخبر ان اثنين من الهنود كانا قد حملا اليها من نحو عشرة ايام مريضاً في اقصى حالات الخطر وصل الى داقسون من مضايق شيلكوت على آخر رَمَق يتخيَّل كل من رآهُ انهُ جثة خالصة لا حراك بها. فلمَّا شاهدهُ الطبيب هزَّ رأسهُ كأنهُ يقول مالي حيلة في نشر الموتى من القبور. ومع ذلك فقد تناول ورقة ووصف لهُ دواء وهو لا يأمل لهُ شفاء

امَّا الراهبة جان ماري فرقَّ قلبها على المريض واخذتها بهِ رأفة وحنان واقبلت على معالجتهِ بغاية ما يمكن من العناية. فيا لله ما كان اعظم تلك المصارعة التي ارادت هذه الراهبة المسكينة اعلانها ضدَّ امراض الاصقاع القطبيَّة المخيفة التي يضطرُّ اهل العلم انفسهم ان يلقوا عندها سلاحهم راجعين عنها بالخيبة والفشل. ولكنَّها كانت حاوية ما هو اعظم واسنى من العلم اي الاخلاص المسيحي والرحمة القويَّة التي لا تنثل من الصعوبات

وقد صرفت في معالجتهِ ايَّاماً وليالي لا تكلُّ فيها من التعب ولا يهجع لها جفن خوفاً على حياتهِ. وفي بعض الليالي كان المريض يُصاب بنوبات هذيان شديدة فتسمعهُ ينطق بألفاظ متقطّعة يذكر فيها جبل لبنان وعلى الخصوص والدتهُ. وكان متى نطق باسمها تلوح على وجهِ المتقبض من الآلام لوائح البشاشة

على انَّ الله وحدهُ يعلم عدد المسابح التي صلَّتها الراهبة الشفوقة وهي جاثية عند السرير المذكور. فلما منَّ الله على مريضها بالراحة وبشَّرها الطبيب بزوال الخطر عنهُ كما سبق الكلام خاطبتهُ ذات يوم بصوت قائلة: « هل والدتك حيَّة تُرزق »

فما كادت تسألهُ هذا السؤال حتى فاض الدمع من عينيهِ غزيراً ثم اجابها: « اني لمَّا فارقتها كانت حيَّة تُرزق غير اني لا اعلم ماذا جرى لها بعد غيابي منذ سنوات عديدة عن جبل لبنان »

— هل انت من جبل لبنان اني احبُّ واشتهي ان تحدثني كثيراً عن هذا

الجبل المدود من جبال الاراضي المقدَّسة

امَّا فاضل — وهو المريض الذي لم تكن تعرفهُ الراهبة عنهُ سوى ان سريرهُ معدود بالعدد الثامن — فابرقت اسرَّتهُ وظهرت امائر المسرَّة على محيَّاهُ لانهُ كان يحبُّ ان يتكلم عن ماضيهِ. ومنذ اخذت قواهُ تثوب اليهِ شيئاً فشيئاً عرف خطأهُ واخذ يوبّخ نفسهُ على طمعها الُمفرط الذي جرَّها الى اقبح المساوي واقصى درجات الذلّ. ولذلك كثيرًا ماكان يرتاب في حقيقة حالهِ فيستفهم نفسهُ هل هو فاضل بعينهِ بل هل هو ذاك الذي ربَّتهُ والدتهُ الورعة مريم في مخافة الله واحترام شرائعهِ المقدَّسة.

وكانت عند ذلك تتمثَّل لذهنهِ كالاشباح المخيفة تلك الفظائع التي تلطَّخ بها في السنتين الاخيرتين من حياتهِ كالايمان الكاذبة والسرقات والمظالم وغير ذلك مَّا ارتكبهُ. وكان هذا المنكود اللبناني يستر وجههُ بيديهِ لدى تذكُّرهِ مقابحهُ كأنهُ يريد التخلُّص من هذه الافكار المقلقة المزعجة. ولقد تأسَّف كثيرًا على انهُ لم يسمع لنصائح والدتهِ الفاضلة التي لم تكن تريد بهِ الّا خيرًا ولكن لات حين ندامة فقد اوصلهُ سوء بختهِ الى الاقامة من مستشفى بلاد الجمد بعد ان فقد الشرف والضمير وكلَّ شيء. ولذلك صمَّم النيَّة على الخلاص من هذه الحالة والرجوع الى الله تعالى ومسالمة ضميرهِ

ولمَّا كان يفتكر في هذه الامور زارهُ احد الرهبان اليسوعيين المتَّيدين بوسالة ألاسكا وكان الراهب المذكور قد عرَّج على داڤسون سيتي قضاء لفروض وظيفتهِ. امَّا فاضل فكاشفهُ بعزمهِ على الرجوع في اقرب وقت ممكن الى بلادهِ فنشَّطهُ المرسل على البقاء في عزمهِ واعدًا بانهُ يُركبهُ معهُ على مزلقتهِ ويُعيدهُ الى جونو

ففرح فاضل بما توفَّق لهُ لانهُ رأى انَّ خروجهُ من تلك البلاد يكفل بنجاتهِ ونهضتهِ الادبيَّة. وقد جرَّب اميركة وغيرها فكان طالعها شؤمًا على جسدهِ ونفسهِ فكان احسن شيء لديهِ ان يهجرها بتاتًا راجعًا الى وطنهِ في لبنان. وقد رضي هذه المرَّة بالفقر لانهُ رأى فيهِ ضمانة للشرف والحرّيَّة

. . . .

وبعد مرور اسبوعين شوهدت مزلقة تجرّها الأيائل خارجةً من داڤسون وكانت تسير على الثلج كالسهم الراشق وعليها اثنان من الركّاب ملتحفان بالفراء الثقيلة. وكان يقودها رجل هندي وكان هذا الهندي اذا حدَّث احد المسافرَين يكلّمهُ بغاية الاحترام

والوقار مسمياً اياهُ ابي وهو المرسل اليسوعي الذي زار مستشفى داقسون. واما رفيقهُ فهو فاضل الذي كان قد نقه من مرضهِ وصمّم على الرجوع الى وطنهِ

وبينا كانت المزلقة جاريةً بالمسافرين المذكورَين أمر المرسل بتوقيفها لزيارة احدى قرى الهنود في طريقهِ لان جماعةً من الكاثوليك فيها كانوا ينتظرون قدومهُ لقبول الاسرار من يدهِ. وكان مرض الجُدَري قد انتشر وتفشى في القرية ففتك بسكانها فتكاً ذريعاً غير انّ المرسل الشاب الذي كان قد انتهى الى تلك البلاد من فرنسة لم يبالِ بالخطر ولم يهتمّ بالموت بل اطاع صوت غيرتهِ وهمّتهِ ودخل القرية لاسعاف من فيها من الكاثوليك بالمساعدة الروحيَّة

ولكن يا لهُ من مشهد فظيع تتفتّت لهُ المرائر حزناً وأسفاً فان المرض كان قد انتشر في كل البيوت فصرع من سكانها عدداً عظيماً حتى ان المرسل وجد في احد الاكواخ احدى عشر جثة ممدَّدة على الحصر ومتيبسة كقطع من الحطب وكانت درجة البرد نحو العشرين. فدنا المرسل وعيناهُ تفيضان دمعاً لاجل الصلاة على جثث اولئك المسيحيين فشاهد مع التعجُّب والدهشة العظيمة ان كلَّ جثة ممسكة بيديها ورقة من قشر السَّندر مطوية (يُتَّخذ قشر السَّندر في تلك الاصقاع الباردة للكتابة). فظنَّ في بادئ الامر ان ذلك من جملة خرافات التي يتعلّق بها الهنود فتأسّف ولكنهُ دنا ليرى جلياً فشاهد في خارج الورقة هذه العبارة «لا يقرإ الاسطر التالية غير أبينا وحدهُ» وكانوا قد كتبوا فيها صورة اعترافهم لانهم لمَّا تأكّدوا أنهم مائتون لا محالة وليس هناك كاهن يعترفون لهُ بخطاياهم بادروا فخطُّوا على تلك الاوراق ما كانوا قد ارتكبوا من الذنوب. وهل كتبوا ذلك بايديهم الضعيفة الواهية او كلَّفوا بذلك مؤتمنين لهم ذلك امر لا يعلمهُ غير الله لأنهُ لم يبقَ احدٌ في تلك القرية ليخبر المرسل عن الكيفيَّة

وقد كتبوا جميعاً في تلك الاوراق ما نصُّهُ: «ارغب اليك يا أبانا ان تتلو القداس لراحة نفسي وقد خلفت لك اقراراً بجميلك جلد كاستور ... او جلد وحش آخر». وبعضهم كتب «تركت لك فأسي» وهو كل ما يملكهُ الهندي

فلمَّا شاهد المرسل هذا الايمان العظيم الذي قلَّما يوجد لهُ مثيل في القرون الاولى للنصرانيَّة سالت الدموع من عينيهِ بغزارة وصرخ قائلًا: يا لكم من مسيحيين حقيقيين فانكم لمَّا سمعتم انهُ اذا لم يوجد كاهن تُغفر الخطايا بالانسحاق التامّ مع الرغبة

الحقيقيَّة في قبول الاسرار اردتم ان تتقدَّموا برهانًا لله ولضميركم ولايكم الروحي انكم مثم بهذه الاستعدادات الحسنة فتبًا لكم

وكان المرسل قد عرَّج على القرية وحده لزيارة الاكواخ ولم يرضَ من فاضل بان يصاحبهُ في هذه الزيارة خوفًا عليهِ من المرض

فبعد ان اكمل زيارته وقضى ذاك الواجب الروحي تغيَّر الجوّ بغتةً وهبَّت الزوابع والارياح مصحوبةً بالثلوج فعندها حار المسافران في امرهما فان انتظرا في القرية حتى تنتهي الزوبعة التي قد تطول مدَّتها عدَّة ايام عرَّضا بانفسهما للانحصار في تلك الاماكن عدَّة اسابيع لان الثلوج تسدّ الطريق الوحيدة المستطاع سلوكها هناك. وعليه فمع الاسف اضطرَّا ان يعودا الى مدينة داشون التي كانا قد بعدا عنها فقط نحو مئة كيلومتر وهناك كان يجب عليهما ان يترقبا عودة الصحو لاستئناف سبيلهما الى جونو

امَّا فاضل ففرح من انقلاب الامور على هذا الوجه وسترى في الفصل التالي ما كان الغيب قد خبَّأَ لهُ من الحوادث في داشون (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ACTA SS. GURIÆ ET SHAMONÆ
Exarata a Theophilo Edesseno A. C. 297
Romæ, 1899 *in*-8 *pp*. XXVII - 48

اعمال القديسين الشهيدين غوريا وشامونا

كتبها ثاوفيل الرهاوي بالسريانيَّة سنة ٢٩٧ للمسيح

وسعى بنشرها لاوَّل مرَّة غبطة بطريرك السريان الكاثوليك الكلّي الطوبى السيّد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني

كان العلماء بآثار الكنيسة الشرقيَّة يتأسَّفون على فقدان اعمال القديسين غوريا وشامونا المستشهدين سنة ٢٩٧ للمسيح على عهد ديوقليسيان ومؤلّف هذه الاعمال ثاوفيل الرهاوي كان قد كتبها بالسريانيَّة بعد وفاتهما بخمسة ايَّام فقط. ثمَّ نُقلت الى اللغة اليونانيَّة وشاعت هذه الترجمة. امَّا الاصل السرياني فاخذتهُ يد الضياع الى ان أسعد الحظّ

غبطة السيد الهمام اغناطيوس افرام الثاني على اكتشافها في خزانة الكتب الخطيّة المصونة في كنيسة اليعاقبة في القدس الشريف فلم يكتفِ ان يحيي هذا الاثر الجليل بنشرهِ مطبوعاً بل صدَّرهُ بمقدَّمة لاتينيَّة بيَّن فيها ما يتعلَّق بامر الكتاب وعظم شأنهِ وفوائدهِ التاريخيَّة واحوال الكنيسة الرهاويَّة في ذلك العصر . ومن النتائج التي استنتجها منهُ انَّ الكنيسة الرهاويَّة ترتقي الى عهد الرسل خلافاً لما رواهُ بعض المستشرقين كدوفال وتيكسرون (في تاريخ الرها) الذين ارتأوا انَّ النصرانيَّة لم تدخل في تلك الانحاء الَّا في اوائل القرن الثالث للمسيح . وقد زيَّن غبطة السيّد الهمام هذه الطبعة بترجمة لاتينيَّة وحواشي مفيدة . فنخلص الشكر لغبطتهِ على هذا الاثر الجليل ونسأل الله ان يبقيهُ زمناً طويلاً سنداً للعلوم وفخراً للوطن　　ل . ش

ܟܬܒܐ ܕܝܘܢܐ

كتاب الحمامة لابي الفرج المعروف بابن العبري

نشرهُ حضرة الاب جبرائيل القرداحي مدرّس اللغات الشرقية في مدرسة انتشار الايمان — طُبع في رومة سنة ١٨٩٨ عدد صفحاتهِ ١٠٢

ورد ذكر هذا الكتاب في ترجمة ابن العبري التي نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ في مجلّة المشرق (١ : ٤٥٢) وفيها بيَّن ما يشتمل عليهِ هذا التأليف من الابواب والفصول . وهو كتاب دينيّ وضعهُ ابن العبريّ للرهبان والنسَّاك ليرشدهم الى الترقّي في الكمال وفقاً لثلاثة اطوار الحياة الروحيَّة اعني تنزيه النفس عن ادرانها ثمَّ ترويضها في ممارسة الفضائل واخيراً راحتها في الله . وتعليم ابن العبري في هذا الكتاب كاثوليكي صرفٌ فانَّهُ يقرّ برئاسة بطرس العامة على الرسل (ص ٥ و ١٩) والطبيعتين في المسيح على مقتضى تعليم مجمع نيقية (ص ٥١ و ٧٥) . ولا نأخذ عليهِ غير ترخيصهِ للكذب في بعض الاحيان (ص ١٥) . وعلى كلّ حال نُشير على اليعاقبة بمطالعة كتابٍ وضعهُ احد مشاهيرِ بيعتهم علَّهُ يقرّبهم الى معرفة الحقّ والاتّحاد مع الكنيسة البطرسيَّة . ثم نثني على حضرة الاب قرداحي الذي خدم بنشر هذا التأليف العلوم الشرقيَّة والدين معاً . ومن محاسن الكتاب حواشٍ عديدة ذُيِّل بل زُيِّن بها . وفي آخر كتاب الحمامة مقامة ادبيَّة لابن العبري وضعها في السريانيَّة على الطريقة الحريريَّة [illegible] اي حكاية عن صَبوة العقل　　للاب يوسف برون

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

ارجأنا فيها الكلام الى عدد قادم لضيق المقام

١ كتاب المعين في الاقتراح على طلبة العربيّة. الجزء الاول للمعلّم. من تأليف جناب الفاضل سعيد افندي الخوري الشرتوني

٢ سيرة القديس دوكس معرَّبة بقلم القس سمعان الخازن الراهب الانطوني

٣ نغمات الكنيسة المارونيّة للاب يوحنّا باريزو الراهب البندكتي

(Rapport sur une Mission scientifique en Turquie d'Asie, par Dom J. Parisot O. B.)

منثورات

مسألة رياضيّة للاب الكبيس مألون عُهد الى ملاّح ان يركب قارباً صغيراً ويجرّ وراءهُ مجيل فُلكاً ثقلهُ الف الف كيلوغرام مملوءاً فحماً فيذهب به من بيروت الى طرابلس والمسافة بينهما ٧٢١٠٠ متر. يُطلب اوَّلًا هل يجري الفلك المذكور على فرض انَّ الريح ساكنة والبحر هادئ. ثانياً واذا جرت السفينة الى كم تبلغ سرعتها بعد عشر ساعات. واخيراً كم يقتضيها من الزمان لتبلغ طرابلس ؟

سكّان مصر روت مجلة انكليزيّة (Popular Science monthly) انَّ عدد سكّان مصر بلغ في الاكتتاب الاخير ١٠,٠٠٠,٠٠٠ من الوطنيين يُضاف اليهم ١١٢,٠٠٠ من الاجانب. واكثر هؤلاء عددًا الاروام وهم ٣٨٠٠٠ ثمَّ الطليان ٢٤٠٠٠ ثمَّ الانكليز ١٩٠٠٠ الفاً ثم الفرنسيّون ١٤٠٠٠ والباقون من دول مختلفة

مرصد زيكاواي هو مرصد فلكي ابتناهُ المرسلون اليسوعيون في مدينة زيكاواي من سواحل الصين سنة ١٤٨٠ فلم يزل يتقدَّم دائماً تحت ادارتهم حتى اضحى اليوم في عداد المراصد الكبرى التي تراسلها مراصد عواصم الدنيا جمعاء. ومن خدماته المشكورة انهُ يُشير الى انواء البحر والاعاصير قبل وقوعها فاذا وقعت أنبأَ بسيرها وشدّتها وزمن وصولها الى نُقط معلومة. ويأتي لزيكاواي كلَّ يوم عدَّة

اعلامات جوّيّة توسل الى مرصدها من ٤٢ محطّة تلغرافيّة منها في يابان والهند الصينيّة وكوريّة ومنها في جزائر الفيليبين وسيبيرية. وكلّ السفن المسافرة الى الصين او القافلة عنها لا تمخر عباب تلك البحار المائة دون ان ترجع الى القوائم الجوّيّة التي يصطنعها اليسوعيون في المرصد المذكور ويوزعونها على رؤساء السفن في كلّ سواحل الصين

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الخوري قسطنطين باشا ان ننبّهُ اسم الكتاب الذي اخذنا عنهُ في ترجمة ابن العبري (المشرق ١ : ٢٩٤) قولنا عن البطرك الانطاكي الذي مات في زنزلة سنة ١١٧٠ وعن داود البطريرك الذي خضع للحبر الروماني سنة ١٢٤٠ وقد وجد حضرتهُ ان قولنا لا يوافق ما ورد في كتاب الشرق المسيحي للعلّامة لوكيان

بطريركان انطاكيّان من بطاركة الروم

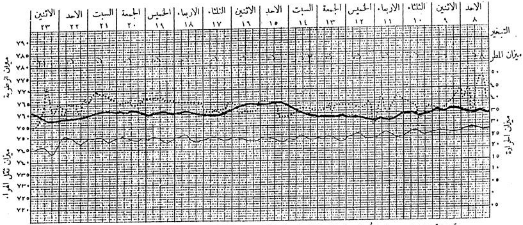
ج انّ كتاب الشرق المسيحي كثير الخلل في ما يختصّ بذكر البطاركة الروم الانطاكيين في القرون التابعة للقرن الحادي عشر فلا يوثق به تماماً. امّا قولنا عن البطريرك المتوفّى في زنزلة سنة ١١٧٠ فقد ذكرهُ في تاريخه البطريرك ميخائيل الكبير ونقلهُ عنهُ راي (Rey) في كتابهِ المعنون المستعمرات السوريّة في الشام (ص ٣٢١). وتاريخ ميخائيل المذكور قد تمّ طبع قسمهِ الاوّل بهمّة الخوري شابو (J. B. Chabot) وكذلك ذكر راي (ص ٨٩) خضوع البطريرك الانطاكي داود لسلطة الحبر الاعظم نحو سنة ١٢٤٠

س وسأل جناب الاديب ا. ط. من دير القمر هل يُعرف اوّل من اخترع البارود ومتى استعملهُ العرب

البارود

ج قد اختلفت آراء المؤرخين في مكتشف البارود اختلافاً عظيماً وما لا ريب فيهِ ان روجر باكون الراهب الانكليزي (+ ١٢٩٤) وصفهُ في كتاب لهُ وصفاً واضحاً وبيّن ما فيهِ من الخواصّ الانفجاريّة. وقيل ان اهل الهند عرفوا البارود قبل المسيح وانّ الصينيين اخذوهُ عنهم بعد المسيح بثمانين سنة امّا العرب فالارجح انهم تعلّموا تركيبهُ من اهل الهند بعد الهجرة بثمانين سنة لكنّ استعمالهُ لم يشع بينهم الّا في القرن الثاني عشر ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ تشرين الاول ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) اما الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

المشاهد الفتّانة في رحلة الاستانة

للاب بولس جوون اليسوعي

١

قال ادمند ابوت (E. About) احد مشاهير كتبة الفرنسيس: « أبحرْ الى الاستانة العليّة فاذا بلغتها لازم السفينة وسرّح مليّاً طرفك في اصقاع جنّاتها الخالق بما لا ندّ لهُ من الحسن الرائق والكمال الفائق. ثم اقفل راجعاً الى بلادك واستغنِ بمنظرها الفاتن الالباب عن التجوُّل في ساحاتها وتفقُّد معاهدها »

(قلنا) انَّ في هذا القول غلوًّا ظاهرًا بيد انهُ يُشعِر بما خصَّ الله بهِ موقع الاستانة من المناظر البديعة. التي ضنَّت بمثلها الطبيعة. فهناك الرُّبى السبع تتباهى فوقها الابنية الرحاب. والرياض الغنَّاء تحاكي بنضرتها السحاب. قد حاز خليجها من المفاخر. ما لم يطمع فيهِ اوَّل وآخر. فتُتن الانسان بهذه المناظر. وحاول ان يباري بعملهِ القاصر. اعمال خالقهِ فعاد بصفقة خاسر. ومع كل ذلك فلا يُنكر ان في الاستانة العليَّة محاسن جمة. وآثارًا جليلة. منها قديمة مستطرفة. ومنها حديثة مستأنفة. تجمل ايام زائرها ابهى من الاعياد. واحلى من عسل الشهاد

أجل انَّنا وجدنا للاستانة مرأى لا يُضاهى بفخار. وحسناً لا يجارى في مضمار. فما كادت تلمحها البواصر. حتى اكتحل طرْفنا بجمالها الساحر. وما زاد منَّا العجب. وضاعف الطرب. انَّا لم نرَ عند ولوجنا في خليج الدردنيل ما تقرُّ لهُ العين. فكانت ضفَّتاهُ منتصبتين. في وجهنا كحاجزين هما منتهى القارتين. ثمَّ انتهينا الى بحر مرمرا فانبسطت البطاح. واتَّسعت الارجاء الفساح. دون شيء من المناظر البهجة. او الحدائق الارجة. حتى ظهرت عن بعد نحو الشمال عاصمة الاريكة العثمانية وانتصب عن يميننا جبل

قاضي كوي تماوءُ المنازل العامرة ، وتنتنهُ الجنّات الزاهرة . فكان لهذا المنظر احسن موقع في قلبنا . ثم اخذت السفينة تسير الهوينا كأنّها تعرض على ركّابها هذه البدائع الفريدة ليجيلوا فيها العين ويملأوا منها القلب . فكنّا نرى القسطنطينيّة على شمالنا كأنّها الغادة تختال على آكامها السبع . فهناك القصور البهيّة والمباني الزهيّة والمنائر المرتفعة والدور الرحبة المتسعة

ولم تكن الضفّة اليمنى اقلّ حسناً من اختها فانّها كانت تبادي القارة الاوربيّة برونقها فسرنا اوّلاً تجاه قاضي كوي وهي مدينة خلقيدونية القديمة ثم حاذينا اسكدار (Scutari) فراقتنا غاباتها السوداء من السرو الباسق . امّا الخليج فكان امامنا كمرآة صقيلة تنعكس فيها صور الاشجار والابنية الماثلة على جانبي البسفور . وعلى قدر مسيرنا كانت المدينة تقترب شيئاً فشيئاً فتنجلي مبانيها وتتسع مغانيها . وشاهدنا الاسوار الضخمة المحدقة باستانبول ثم برج السر عسكريّة والجوامع الكبرى وحتى غلطه وبيره . غير انّ السفينة لم تجر توّاً الى المرسى بل تقدّمت صاعدةً في الخليج خوفاً من تيّار المياه ثم انثنت عائدةً فمرّت عند قرن الذهب والقت مراسيها في ميناء القسطنطينيّة . تلك ملكة البحار ، ومورد التجار ، تنشر لواءها على الخافقين ، وتجمع بين عالمين

٢

وما يقضي العجب انّ القسطنطينيّة مع حسن موقعها وصلاحيتها للتجارة وللمراكز الحربيّة بقيت اجيالاً عديدة في جملة المدن الصغرى القليلة الشأن . وكان اسمها قبل قسطنطين الكبير بوزنطية . ويُنسب بناؤها للميغاريين والارغيين شادوها سنة ٦٦٧ قبل المسيح . زعموا انهم وضعوا اساسها عند رأس المثلّث الذي يوازي قارة آسيّة عند رأس السراية الحالية . وانّما اختاروا هذا المكان وفقاً لوحي من الهيم ابلّون استشاروهُ فاجابهم : « أن ابنوا مدينتكم بازاء ارض العميان » . فنعت بالعميان اهل خلقيدونية الذين آثروا قبل ٧٠ سنة الضفّة الاسيويّة لبناء مدينتهم فشطّوا باختيارهم

وبقيت مدينة بوزنطية في حالة من الرفاء والنعمة الى القرن الرابع قبل المسيح وكان اهلها يزاولون الصيد ويرتزقون بالتجارة . وفي سنة ٣٤٠ زحف اليها فيلبوس المقدوني فحاصرها وضيّق عليها وكاد يدخلها عنوةً لولا بلاغة الخطيب ديموستين الذي دفع مواطنيه الاثينيين الى ان ينجدوا البوزنطيين محالفيهم . ويُخبر ان جند العدو تسلّقوا

في ليلة دامسة اسوار المدينة ولم يشعر بهم اهلها فابرقت السماء بغتةً فرأى الاهلون جيش العدو بلمعانه فناجزوه القتال وردُّوه خائباً فصار الهلال مذ ذاك الحين كشعار بوزنطية

ولمَّا صار ملك العالم للرومان بقيت مدينة بوزنطية زمناً طويلاً مستقلةً الى ان دخلت في حكم رومة على عهد فسبسيان. وفي سنة ١٩٦ للمسيح قوّض سبتيميوس ساويرس اسوارها المنيعة لانتصار اهلها لخصمه بسِنِّيوس نيجر (Pescennius Niger) وتقدَّم بقتل شيوخها والجنود الذين دافعوا عنها. لكن الحرب بعد حين وضعت اوزارها واخمد الظافر لظى غضبه ورضي عن البوزنطيين وعاد فزيَّن مدينتهم بالابنية الفخيمة والمعاهد العظيمة كالحمَّامات والاروقة والمراسح. وهو الذي اصطنع لسباق الخيل المضمار الكبير الذي ورد ذكرهُ مراراً في تاريخ القسطنطينيَّة وقد بقي من اساسه بقايا ضخمة الى يومنا هذا ولعلها اقدم أثر بوزنطة القديمة صبرت الى يومنا هذا على آفات الدهر. وقد قدم ساويرس على هذه الاعمال لما رآهُ في بوزنطية من حسن الموقع ليجعلها في وجه اعداء المملكة كحصن حريز لا يقوى عليه فاتح

هذا وان قسطنطين الملك لمَّا جعل في بوزنطية عرش المملكة آتاها من العزّ والفخر ما لم تحرزهُ مدينة غيرها اللهم الَّا رومية العظمى فاخذت مذ ذاك الحين ترقى معارج المجد وتفاخر أمهات المدن فاصبحت كمحور تدور حوالهُ شؤون الامم وكلهم ترنو اليه ابصار الشعوب. وكان قسطنطين الملك دعا المدينة باسم « رومية الجديدة » الَّا انَّ الاهلين ابرّوا عن شكرهم لمنشئها الهمام فسمّوها باسمه قسطنطينيَّة. ولا حرج فان قسطنطين اجدر من سواهُ بان تُنسب اليه هذه العاصمة. كيف لا وهو الذي اوسع نطاقها ورحَّب جوانبها فادخل في ضمن دائرتها الرُّبى السبع التي منها يتركَّب ذلك المثلَّث العجيب الواقع بين بحر مرمرا وقرن الذهب. وذلك انَّهُ خرج في موكب عظيم ثم شرع يخطّ برمح اساساً جديداً يبعد عن اسوار المدينة السابقة خمس عشرة غلوة (اي نحو ٣٠٠٠ متر). وكان على شكل دائرة تمرُّ بالمقبرة القديمة بقرب جامع محمد الثاني الفاتح وتنتهي الى « ثلاثنا بستان ». وجرت هذه الحفلة في ١١ أيار سنة ٣٣٠ للمسيح وكان ذلك اليوم موسماً مشهوداً اردفهُ قسطنطين باعياد متواصلة وأفراح دامت اربعين يوماً. ثم حسر العملة عن معصم الجدّ فشادوا الاسوار وابتنوا القصور واحكموا صنع المعاهد العموميَّة ولم ينجزوا العمل الَّا في عهد قنسطنس بن قسطنطين (٣٣٧—٣٦١).

ولمّا ملك والنس باشر ببناء قناة كبرى يُرى منها الى يومنا هذا بقايا حسنة وقناطرها العظمى من اجل الآثار القديمة تعشّقها اللبلاب فاحدق بها من كلّ جوانبها. ولمّا قسم ثاودوسيوس الكبير المملكة الرومانيّة بين ولديه هونوريوس واركاديوس اضحت القسطنطينيّة حاضرةً لملك الشرق. وفتحها الفرنج الصليبيّون فملكوها من سنة ١٢٠٤ الى ١٢٦١ ثم استرجعها الروم ودام فيها ملكهم الى سنة ١٤٥٣ فتحها محمد الثاني الغازي واتخذها كرسيًّا لمملكة آل عثمان عزّ الله شأنهم على مدى الدوران

٣

هذا وقد طرأ على القسطنطينيّة من الطوارئ الجمّة كتعاقب الدول وتوالي الحروب وحدوث الزلازل والحريق ما طمس كثيرًا من آثارها القديمة. الّا انّ ارباب العاديّات يجدون الى يومنا هذا في الاستانة رسومًا عديدة تقودهم الى معرفة رونقها في القرون الغابرة. وها نحن نتتبّع هذه الآثار لنطرف بها قرّاءنا علّهم ينالون من ذلك عائدةً لعقولهم وتفكهةً لخواطرهم

١. (اسوار القسطنطينيّة) اوّل هذه الآثار القديمة الحريّة بالذكر انّما هي القسطنطينيّة فانّ قسمًا صالحًا منها ماثلٌ الى اليوم بعضها على سيف البحر لاسيا بحر مرمرا وبعضها من جهة البرّ وهو القسم الذي تنتقده. فوجدنا هذه الاسوار غايةً في المنعة والاحكام وهي كما كانت في سنة ١٤٥٣ يوم فتح فيها السلطان الغازي محمد الثاني مجازًا لجيشه الظافر

ولم يقتصر ملوك الروم لصيانة مدينتهم على بناء سور ضخم بل كانت اعمال التحصين تشغل مسافة سبعين مترًا فكانوا اوّلًا حفروا في خارج المدينة خندقًا عرضهُ نحو عشرين مترًا وللخندق المذكور عطفان يعلوهما جدارٌ قليل الارتفاع وسدود تحول دون سيلان المياه. ووراء هذا الخندق ساحةٌ عرضها خمسة عشر مترًا تنتهي الى سور اوّل خارجي شديد المنعة في اعلاه شُرفٌ. ثم يليه مسطّح من الملاط المتين يفصل السور الخارجي عن السور الداخلي. والسور الداخلي المذكور هو تتمّة الخطوط الدفاعيّة. وكان لهُ بروج جمة يردّ منها الجند غارات العدوّ. وتاريخ بناء السور الخارجي يرتقي الى سنة ٤١٢ امّا السور الداخلي والخندق فكان بناؤهما سنة ٤٤٧. وفي أبّان زيارتنا لهذه الاسوار كنّا نفكّر في الوقائع العظيمة والحروب الهائلة التي جرت بجوارها. وكانت الثلمة التي

منها دخل السلطان محمد الثاني سنة ١٤٥٣ تنطق بلسان حالها عن الحرب العوان التي دارت رحاها على الروم وقُتل فيها ملكهم الصنديد قسطنطين باليولوغ

وفي الطرف الشمالي من هذه الاسوار آثار بناية فخيمة تدعى اليوم تكور سراي زعم البعض أنها من بقايا بلاط الإبدمون الشهير. والصواب ان هذا البلاط كان في جنوبي غربي السور خارجاً عنهُ بجوار مثري كوي. امَّا تعفور سراي فالارجح أنهُ بلاط قسطنطين السابع المعروف بيرفيروجينات

٢ (المضمار) هو احدى النُّقط الثابتة التي يمكن الركون اليها لمعرفة قسطنطينيَّة القديمة. ويسهل تعيين قطر دائرته بما بقي من الآثار الجليلة اعني المسلَّتين العظيمتين ثم عمود الحيَّات ثم ردم بناية ساويرس الآر ذكرها. وبما يثبت صحَّة موقع المضمار القديم اسمُ الشائع الى يومنا فانَّهُ يعرف بالميدان. وكان اهل القسطنطينيَّة يجتمعون كثيراً في هذا المكان لرحب باحتهِ فهناك كان يخاطب الملك شعبهُ وتجري الحفلات الدوليَّة والمواسم الكبرى والالعاب العموميَّة. وكم جرى في هذا المضمار من فتن وثارت ثوائر القوم. الَّا انَّ الفتنة العمياء التي حدثت في عهد يستنيان الملك سنة ٥٣٤ أنست ما سواها. وكان بدء الامر انَّ فئتين تُدعيان الزرقاء والخضراء تخاصمتا أمام الملك في وقت الالعاب فانتصر الملك للزرقاء. واخذت الملكة بناصر الفئة الخضراء. فحدث من جرَّاء ذلك هَرج ومَرج ودام ذلك ستة عشر يوماً وكاد يستنيان يفقد بسببهِ الملك والحياة. فانَّ اهل الثورة امتدُّوا في كلّ انحاء العاصمة كسيل جحاف فنهبوا وسلبوا وقتلوا وخربوا وأحرقوا احد قصور الملك وكنيسة آيا صوفيا ونادوا بهيبَّاس ابن عم الملك انستاس ملكاً. غير ان بليزار قائد جيش يستنيان تمكَّن بعد الجهد الجهيد من اطفاء نار الفتنة وكشف قناعها. قيل أنهُ قُتل في تلك الداهية نيف وخمسون الف رجل

وكان للمضمار المذكور مقاعد على شبه الدرج واسراب يُدخل منها اليه. وقد تلف كل ذلك. امَّا المسلَّتان فاحداها من المسلَّات المصريَّة ذات الحجر الواحد. نقلها الملك ثاودوسيوس من عين شمس الى القسطنطينيَّة. وقد جعلت هذه المسلة على ركن عظيم من الرخام وعلى الركن نقوش نجشية تمثّل ثاودوسيوس وحاشيتهُ مجتمعين لنصب المسلَّة. والمسلة من الحجر الصوَّان على جوانبها الاربعة كتابات هيروغليفيَّة محكمة الحفر. والمسلَّة الثانية اشبه بهرم صغير مُصمت شيَّدها بعض ملوك الروم بحجارة عاديَّة وكانت

سابقًا مصفّحة بصفائح من الشَّبه المذهب من عمل ملوك الفرنج الّا انَّ هذه الصفائح نُزعت عنها . وحجارة هذه المسلة تتفتّت يومًا فيومًا وهي على وشك السقوط

امَّا عمود الحيّات فانَّهُ من اجمل الآثار القديمة التي بلغت عصرنا . يرتقي عهد هذا العَمود الى سنة ٤٧٩ قبل المسيح وهو تذكار لانتصار احدى وثلاثين مدينة من مدُن اليونان على الفرس في وقعة بلاتاي (Platée) . فنصبوا هذه السارية في هيكل ابلون في دلفي (Delphes) . ولمَّا جلس قسطنطين على عرش الملك في بوزنطية وزيّن هذه المدينة بالتماثيل القديمة امر بنقل العمود المذكور الى عاصمته . وهذا الاثر عبارة عن ثلاث حيّات ضخمة يبلغ طولها نحو سبعة امتار وهي ملتفّة بعضها حول بعض وكانت رؤوسها تحمل لوحًا مثلّث الزوايا (trépied) تجلس عليها كاهنة ابلّون . وكان الاثر من الصُفر ولم يبقَ منهُ الّا قطعة طولها خمسة امتار و ٥٥ سنتيمترًا . وفي دار العاديّات في الاستانة حنك احدى الحيّات الثلاث . وهذه الطرفة الجميلة تشهد بترقّي فنّ الصناعة عند القدماء . وهي مسبوكة سبكًا واحدًا

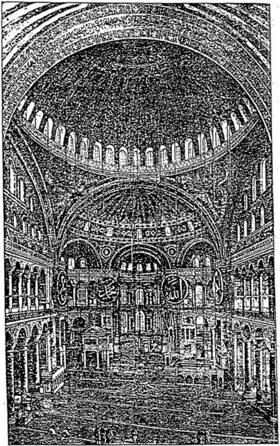
٣ (قصور ملوك الروم) كان لملوك الروم قصور عديدة بيد انَّ اكثرها دخل في خبر كان . وقد بقي بعض الجدران من المباهد التي سكنوها بعد القرن الثاني عشر وكان موقعها في العُدوة الغربيَّة عند الرأس المعروف بقرن الذهب في حيّ بلاكرناس عند السراي . امَّا الابنية الاساسيَّة التي كانت تسندها فهي الى يومنا هذا بارزة وكلها محكمة الصنع متقنة الهندام

٤ (الصهاريج القديمة) وممَّا يُشعر بعظم شأن القسطنطينيَّة في سالف الادهار الصهاريج العديدة الواسعة الحوض المحكمة البناء التي كانت تزيّنها وكان الاغنياء يتباهون بصنعها واتقان هندستها . وقد اشتهر منها صهريج يُعرف بصهريج الالف عمود وعمود والسيّاح يأنسون بزيارة بقاياه الجميلة

٤

٥ (أيا صوفيا) هو البناء فخر القسطنطينيَّة وابدع الآثار البوزنطيَّة الباقي من مدينة القياصرة الرومية تراه جمع فيه طُرَف الهندسة اليونانيَّة فضلًا عن محاسن الابنية الاسيويَّة

ولا يُخفى انَّ يستنيان الملك هو الذي اوعز ببناء أيا صوفيا لتكون كنيسةً اهلًا



رسم باطن ایا صوفیا

بعاصمة الدنيا فاستقدم من جميع اطراف مملكته ابرع البنّائين واهر الصنّاع واحذق ارباب الهندسة فوكل اليهم هذا المشروع الشريف والحقّ يقال انهُ جاء متناهياً في الجلالة والفخامة حتّى بأن يُعدّ من عجائب الارض وابنيتها الباهرة. وقد دعا يستنيان هذه البيعة أيّا صوفيّا لأنهُ اقامها ذكرًا للحكمة الازليّة المقدّسة فاتخذها السلطان الغازي محمد الثاني جامعاً يوم فتح القسطنطينيّة

وقد تمتّعنا بمشاهدة هذا الاثر الجليل فملأ بمحاسنهِ عيننا وصدرنا وغلب عقلنا واستبى لبّنا. وكان خارجها في قديم الزمان بهيًّا باهرًا وقد وصفهُ وصفاً مدقّقاً الرحّالة الشهير ابن بطوطة (راجع مجاني الادب ٢: ٢٦٠). واليوم لا يرى الرائي شيئاً من هذه الطرائف الخارجية التي ذهبت بها يد الحدثان

امّا هيئة البناء فهي شكل مربع طولهُ ٧٥ مترًا و٦٤ سنتيمترًا ما خلا حنيّة الهيكل (Abside) وعرضهُ ٧٠ مترًا. وفوق هذا المربع القبّة العظمى التي يكلّ الطرف بنظره اليها على مدى تحديقهِ. وقطرها عند فوهتها ٣١ مترًا و٤٨ سنتيمترًا وهي مستندة الى اربع حنايا يتوازى سقفها. وقد بُني على الحنيّتين اللتين على يمين الداخل وشماله شبه نصف قبّة. وتحت نصف القبّة نصف قبّة أُخرى من الجهتين وهذان النصفان اصغر من النصفين الاعليين يستندان الى عمد. فينجم من ركوب هذه القباب على بعضها منظر لا عديل لهُ وترى للبناء هيئة رشيقة خنينة غاية في الحسن والجمال

والذي تولى هندسة أيّا صوفيّا كان اسمهُ انثيميوس وكان نسيج وحدهِ في الهندسة وصناعة البناء وعلم تحريك الاثقال. قال المؤرخ بروكوب في كتاب الابنية (١): «تفرّد انثيميوس بالاكتشافات العديدة في علم البناء وسبق الاقدمين ببراعته في العلوم الميكانيكيّة». وغاية ما توخاه في هندسة أيّا صوفيّة ان يجعل قبّتها في السماء في منتهى الخفّة والرشاقة كأنها الطائر المحلّق في الجوّ لا يكاد يسندها غير يمين العليّ بقوّة خفيّة. وقد فضّل المهندس هذه الخاصّة على ما سواها فاستفرغ جهدهُ في تنسيق هذه القبّة واتقان اقسامها فتراهُ كأنهُ أفرغها في القوالب

وقد أُغري مهندسو الاستانة بجمال أيّا صوفيّة فحاولوا الاقتفاء بها فترى اكثر جوامع العاصمة تشبه بعض الشبه ذاك البناء الفريد. امّا الكنائس التي شيّدها المهندسون

(١) راجع Procopius : *De Ædif.* I ; Agath. : *Hist.* V, 8

اليونانيّون قبل الفتح الاسلامي فهي تختلف في صورتها عن أيا صوفيّة . فمنها ما بُني على الطرز المعروف بالملكي (basilique) نسبةً الى هندسة الدور الملكيّة الرومانيّة . ومنها ما هو على شكل مستطيل ولهذه الابنية قبّة مرتفعة تستند الى إطار على شكل طَبل (tambour) وقد شاع هذا الطرز في القرن الثاني عشر

ومن الكنائس الشهيرة بهندستها « أيا صوفيا الصغرى » بناها ايضًا انثيميوس المذكور وكانت على اسم القديسين الشهيدين سرجيوس وباخوس وقبّتها راكنة الى إطار مطبّل ذي ثماني زوايا فوق قناطر وحنايا متوازية كجامع أيا صوفيا الّا انّ عددها ضعف عدده . امّا زخرفة جدران هذه الكنائس القديمة فقد بقي منهُ مثال في « قهريه جامع » . وهي كنيسة قديمة للدير الشهير المعروف بخوره (χώρα) . فترى في رواق الكنيسة ووجه الهيكل قطعًا كبيرة من الفسيفساء وهي نقوش مختلفة ذات الوان عجيبة وفي جماتها صور بديعة تمثّل بعض اعمال السيد المسيح . فترى في هيئة الاشخاص وحركاتهم وسحناتهم ما يدلّ على ترقٍّ عظيم في فنّ التصوير . والفضل في اكتشاف هذه الفسيفساء عائد الى سعادة ناظر الصنائع والفنون في الاستانة العليّة

هذه لُمعة وجيزة في بعض ابنية القسطنطينيّة القديمة اكتفينا بذكرها لئلا نخرج الى الطول المملّ بوصف سواها

٦ (متحف الاستانة) وممّا يحقّ للاستانة ان تفتخر به دار عاديّاتها الفخيمة . ولا يسعنا هنا السكوت عن ذكر صاحب السعادة حمدي بك الذي تولى منذ نحو عشرين سنة نظارة هذا المتحف الشهير فجعلهُ في عداد المتاحف الكبرى التي تتباهى بها عواصم اوربّة . وسعادتهُ تخرّج اوّلًا في مكتب باريس ثم عاد الى الاستانة العليّة فبذل قصارى الهمّة بجمع شتات العاديّات العثمانيّة ونال من الكرم الشاهانيّ ان يُخصّص لعرض هذه الطرائف جوسق جينلي وهي دار رحبة مصفّحة بالصنائع الصينيّة من عمل العجم

ثمّ ضاقت هذه الدار عن محتوياتها لمّا اكتشف سعادة وكيل المتحف نواويس صيداء سنة ١٨٨٧ فأمر جلالة السلطان اعزّهُ الله ان يُزاد على ذلك بناء آخر شُيّد في حدائق السراي القديمة . ومنذ ثلاثة اشهر قد شرع المهندسون ببناء قصر واسع الجوانب كثير القاعات لتودع فيهِ العاديّات التي تتوارد الى كرسيّ السلطنة من كلّ اوب . ومنذ اتّسعت دار العاديّات العثمانيّة اخذ العلماء الاوربيّون يتقاطرون الى زيارة

هذه الآثار وفحص كتاباتها وحلّ ألغازها وكلهم يثنون اعطر الثناء على سعادة حمدي بك الذي يستقبلهم بما جُبل عليهِ من الانس واللطف يشاركهُ في ذلك اخوهُ خليل بك والخو كريمتهِ العالم في العاديّات البوزنطيّة ميستاكيديس افندي

ولدار العاديّات معاهد عديدة كلها في غاية الاهميّة على اختلاف اصلها. وقد نظّم حضرة الاب شيل (Scheil) الدومينيكيّ العاديّات الاشوريّة التي اكتشفها في بابل ووضع لها قائمةً حسنة وزاد عليها وصف العاديّات المصريّة. وتولّى العالم الالماني مردتمان (Mordtmann) تنظيم الكتابات والتماثيل الحميريّة والتدمريّة والعبرانيّة ونشر اوصافها بالطبع. امّا العلّامة الفرنسيّ جوبين (Joubin) فانّهُ استفرغ جهدهُ في تعريف النواويس التي تُصان في هذا المتحف ولكلّها نقوش باهرة عجيبة. وبعضها كانت لمشاهير الملوك والاعيان كنواويس صيداء وناووس اسكندر ذي القرنين وغير ذلك. ولا حاجة للقول انّ للعاديّات الاسلاميّة القديمة وآثارها ونقودها موضع خصوصي يجمع من الطُرَف البهيّة ما ندر وجود مثلهِ في المتاحف الاوربيّة (ستأتي البقيّة)

الزلازل في بيروت

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

حدثت الجرائد فأسهبت في وصف الزلازل الهائلة التي حلّت ضيفًا ثقيلًا على ولاية آيدين وما يليها فجلبت عليها البوار وانزلت اهلها في الحضيض بعد السنام (راجع البشير ع ٩ و١٦ ت ١). وقبل هذا الخطب العظيم في منتصف كانون الثاني كانت حدثت في بيروت بعض هزّات ارضيّة الّا انّها كانت والحمد لله خفيفة الوطأة قصيرة المدّة حتى ان كثيرين لم يشعروا بها. وما لبثنا ان قرأنا في الجرائد ان بلاد اليونان طرأت عليها هذه القارعة فزلزلت ارضها زلزالًا. فهمنا ان هزّات بيروت لم تكُ آنئذٍ غير عكس فعل تلك الزلزلة العظيمة التي ضعف لحسن الحظ تأثيرها في اصقاعنا لبعدها عن مركز الخطب

بيد انّ بيروت ذاقت في القرون الغابرة من اهوال الزلازل نكالًا امرّ من الشّري ألمنا الى ذلك الماعًا في مقالة سابقة (المشرق ١ : ٣٠٥) ولم نستوفِ اذ ذاك الكلام

عن هذا الامر الجلل فسدًّا لهذه الثلمة رأينا في استئناف هذا الموضوع فائدة فتكون عجالتنا هذه كصحيفة من تاريخ مدينتنا وليس التاريخ في غالب الاحيان ألّا سلسلة نكبات الدهر وطوارقه ولذلك قال القائل: طوبى لقوم لا تاريخ لهُ

قلنا سابقًا (المشرق ٦: ٣٠٣) ان للزلازل في الثغور الشاميّة خطّين وانّ احدهما هو الخطّ الساحلي يمتدّ على مدى سِيف البحر المتوسّط فهو الخطّ الذي نعنيه في هذه النبذة. ويؤخذ من مقالتنا السابقة انّ الاهتزازات الحادثة على مسير هذا الخطّ الساحلي أتت بنوائب لا تُحصى وقد اقتصرنا على وصف بعضها. وربّما ضربنا صفحًا عن ذكر بيروت بيد أنهُ من المقرَّر ان بيروت نالت من هذه المصائب حظّها في كلّ زلزال ولعلّ المؤرخين سكتوا مرارًا عن تدوين اسمها في عداد المدن المصابة وما ذلك الّا لقلّة الخسائر الناجمة لها عنها. وكذلك نفعل نحن فنخصّ بالذكر الزلازل الخطيرة التي ألمّت بيروت فالحقت بها من الاضرار ما انخلعت له قلوب سكّانها هلعًا

ففي سنة ٣٤٩ طرأ على بيروت زلزال اخرب نصفها. وكان فيها حينئذٍ كثير من عبدة الاصنام المشركين فطارت قلوبهم شعاعًا واسرع العدد الغفير منهم الى التنصُّر علّهم يستمطرون بذلك ديم رحمتهِ تعالى لكنّ هذه الاهتداءات الناتجة عن الرُّعب والهلع لم تكن كلها ثابتة وبعد زوال الخطر عاد منهم قسمٌ الى التوثّن وتمذهب منهم قسمٌ آخر بمذهب جديد مزيج بين معتقدات النصرانيّة وخرافات المشركين (١

الّا انّ بيروت لم تلبث ان نزعت عنها ثوب الحداد وخيط ستر الخراب فعادت الى ما كانت عليه من البهاء والسُمعة الطيّبة وداومت على تدريس الفقه والبيان كما كان شأنها قبل ذلك

وفي السنتين ٤٩٤ و ٥٠٢ شعر البيروتيون بهزّات جديدات لكنّها كانت خفيفة فيها بخلاف مدينتي صور وصيداء فانّ الزلزال مدَّ عليهما رواقهُ فخربتا تمامًا. وممّا خرب في بيروت في ٢٢ آب من السنة ٥٠٢ كنيس اليهود ذكر ذلك المؤرخان زوناراس وما لالا

٢

على انّ هذه النوازل لم تكن غير مقدّمات لجوائح أسوأ غائلة فما مرَّ على بيروت

١) راجع تاريخ تيونان وكدرينس وغيرهما لسنة العالم ٥٨٤٠

نصف قرن بعد هذه النكبة حتى دهمتها زلزلة هائلة لم تتم من بعدها هذه القصبة القيام التام الّا بعد اربعة عشر قرنًا وقد اشرنا الى ذلك في مقالتنا الاولى. امّا زمن وقوع هذه المصيبة الصمّاء فليس بامر يسير لاختلاف آراء المؤرخين في تعيين تاريخ هذه البائقة ونكثرة ما اصاب بيروت في ذلك العهد من الزلازل. وعلى ظنّنا انَّ هذه الفجيعة ترلت بيروت في السنة ٥٥١ كما رواهُ الاب مرتين اليسوعي في تاريخ لبنان (١

وقد اهتزَّ آنئذٍ كلُّ الساحل من جزيرة ارواد حتى صور اهتزازًا شديدًا امّا بيروت فكان لها في هذا المصاب السهم الاوفر. قيل انَّ البحر فيها ارتدَّ الى الوراء نحو مسافة ميل ثمَّ عاد بصدمة هائلة وغرّق سُفنًا عديدة والوفًا من الناس. فرثى بيروت المؤرخ اغاثياس بما تعريبهُ: «ذوت بيروت زهرة فينيقية بعد تلك الزلزلة المظيمة وتقلَّص ظلُّ جمالها. دُكَّت ابنيتها الشاهقة البديعة المنظر المتقنة الاحكام فانتقضت عن آخرها ولم يبقَ منها الّا ردمٌ وخراب وقد هلك تحت أنقاضها جمٌّ غفير من الاهلين والاجانب وذهبت شُعوبٌ بنخبة الشبّان الاشراف الذين قدموا بيروت لدرس الحقّ الرومانيّ في مدرستها الشهيرة التي كانت فخرًا لها وتاجًا على مفرقها تباهي به اخواتها من المدن العظمى. وعلى اثر هذه الزلزلة انتقل الاساتذة الى صيداء ريثما يتجدّد بناء المدينة ومدارسها وقد تنجز هذا العمل بعد سنين قليلة فكادت تُنشر من اكفانها وكان الاساتذة على وشك من الرجوع الى مقرّهم اذ شبَّت النار في البلدة سنة ٥٦٠ فالتهمت معاهدها ودور سكّانها (٢

والى هاتين الحادثتين اشار احد شعراء اسبانية يوحنّا بربوقلوس في قصيدة لهُ عن لسان بيروت يقول فيها: «انا اشأم المُدن طالعًا واسوأهم حالًا ورأيت جثث ابنائي تغطي ساحاتي دفعتين في ظرف تسع سنوات. رماني فُلكان (٣ بسهامهِ النارية بعد ان صدمني نبتون (٤ بكلكلهِ. وا اسفي على جمالي السابق مسحهُ الدهر فاحالني الى رماد

---

١) خلافًا لما زعم البعض انَّها حدثت سنة ٥٢٩ ولما اثبتنا ايضًا في المشرق (١: ٣٠٦) عن وقوعها سنة ٥٤٣

٢) راجع تاريخ اغاثياس في مجموع آباء اليونان (مين ٨٨: ١٢٥٦) وقد ذكر هناك زلزلة اخرى حدثت في بيروت سنة ٥٥٤ لكني لم اتبيَّن اثر وقوع هذه الحادثة

٣) اله النار   ٤) اله البحر والمسمَّى ايضًا ἐνοσίχθων اي مزلزل الارض

فتأنّهوا ايها السَّفْر على سوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلّة ». وهذا دليل بيّن على انَّ بيروت امست خرابًا يبابًا

ولم تعم لبيروت بعد ذلك قائمة فانَّ السائح انطونين الذي اجتاز بها زهاء سنة ٥٧٠ م وجدها على حالتها المشؤومة التي سبق وصفها

وقد وفدت على بيروت الزلازل بعد ذلك فزارتها غير مرَّة. لكن ثقل وطأتها تحوَّل مذ ذاك الحين الى صور وصيداء فلم يعد المؤرخون يخصون بالذكر غير هاتين المدينتين

وآخر زلزال ذي بال نابَ بيروتَ خطوبُهُ كان في غرَّة سنة ١٨٣٧ وانَّما كان انعكاسًا للهزَّات المريعة التي أنشبت مخالبها في الوف من اهل صفد. فرمدت يومئذٍ عين الشمس واغبرّ الجوّ وخُيّل للناس انَّ الطبيعة غالتها اغوال الموت. غير انَّ لطف بعباده فلم تكن الخسائر كما توقعهُ الناس وانهدمت دور كثيرة وتداعت بعض الابنية (١ لكنهُ والحمد لله لم يمت من الاهلين احد. وفي السنتين ١٨٧٢ و ١٨٧٥ توالت فيها الهزَّات الارضيَّة بيد ان رعبها في القلوب زاد عن اضرارها

فيتّضح ممَّا تقدَّم انَّ بيروت وان لم تكن بمأمن عن الزلازل تزداد يومًا فيومًا ثبوتًا وانَّ وقوع مثل هذه الطوارئ يخفُّ مع الأيام تواردًا وضررًا

هذا وان اتساع بيروت وعلوّ طبقات منازلها وقلَّة الاعتناء بتوثيق ابنيتها لمَّا يشير في القلب خوفًا اذا ما ألمَّت بها يومًا نكبة الزلازل الشديدة فلا ريب في انَّ قسمًا كبيرًا من بناياتها يتضعضع وينخسف وقانا الله من أذى هذه البليَّة العظمى بمنّهِ ورحمته فانَّهُ السميع المجيب

الحركة التجاريَّة في المملكة العثمانية

لجناب الاديب عبدالله افندي رزق الله شار من مأموري ميرة ولاية بيروت الجليلة

كانت امانة الرسومات الجليلة نشرت خلاصة سجل ادخالات واخراجات سنتي ١٣٠٧ و ١٣٠٨ مالية الموافقة لسنة ٩١ و ٩٢ تحت عنوان « بيان عمومي » ذكرت فيه مقدار الوارد والصادر وقيمتهُ واجناسهُ ومقادير تجارة الدولة العليَّة مع بعض الحكومات الاجنبيَّة ودرجة الفرق والتفاوت بين هاتين السنتين واليك الجدول المذكور

١) راجع Ritter : *Erdkunde*, 448

بیان عمومی

اسامی	ادخالات رسم الجمرك ١٣٠٧ غروش	ادخالات رسم الجمرك ١٣٠٨ غروش	ادخالات رسم الجمرك تفاوت غروش	ادخالات قيمة ١٣٠٧ غروش	ادخالات قيمة ١٣٠٨ غروش	ادخالات قيمة تفاوت غروش	اخراجات رسم الجمرك ١٣٠٧ غروش	اخراجات رسم الجمرك ١٣٠٨ غروش	اخراجات رسم الجمرك تفاوت غروش	اخراجات قيمة ١٣٠٧ غروش	اخراجات قيمة ١٣٠٨ غروش	اخراجات قيمة تفاوت غروش
ممالك الدول الاجنبیه												
انكلتره	٢٣٩٠٢٩٢١	٢١١٠٢٥١٨	− ٢٢٩٥٤٠٣	١٠٢٠١١٢٨٩٦	٩٧٨١٥٠٨٠١	− ٤١٩٦٢٠٩٢	١١٢٦٢٢١	١٢٦٦٤٥٣	+ ١٤٠٢٣٢	١٨٦٣٠٢٣٣١	٢٠١٩٣٩٢٢٢	+ ١٥٦٣٦٨٩١
آلمانیه	١٣٣٢٤٤٣	٢٠١٤٤٣٠	+ ٦٨٢١٨٢	١٨٤٣٣٩٢٤	٢٢٩٢٨٤٩١	+ ٩٥٤٤٢٦١	١٢٥٩٦٦	٢٨٥٠٩٥	+ ١٥٩١٢٩	١٣٩٩٦٢١٨	٣١٦٧٢٢٢٠	+ ١٧٦٨١٠٠٢
اوستریه	٢٣٠٩٩٢٠٥	٢٦٧١١٤١٦	+ ٣٦١١٥١١	١٥٩٢١٨١٣٠	٥٠٩٩١٩٦٦٤	+ ٥٠٢٠١٥٣٤	١١٠٩٠٤٣	١٣٦٠٦١٩	+ ٢٥١٥٧٦	١٢٢٢٢٦٩٩٢	١٥١١٢٩٨٨٣	+ ٢٢٩٥٢٨٨٦
ایطالیه	١١٥٤٣٠٨	١١٧٦٣٦١	+ ٢٢٠٥٣	٥٢٦٩٨٢٢٠	٥٨٠٠٥٠١٦	+ ٣٠٦٢٩٦	١٨٩٢٨٩	٢٠٦٠١٩	+ ٢١٦٣٠	٥١٢٦٥٤١١	٧٨١١٦٥٥٩	+ ٢٦٠٨١١٤٨
اسپانیه	٨٢	٥١٢	+ ٤٣٠	٥٨٢	٢١١١	+ ٦٥٢٨	٣٦٥٢	٢٥٣٨١	+ ٢١٧٢٩	٤٠٦٣٢٢	٤٨٢٠١١١	+ ٤٤١٣٧٧٨
العجم	١٣١٠٨٨٣٥	٧٩٨٢١٦٠	− ٥١٢١٣٢٥	٦٥٣٢١١٥٩	٥٥٨٦٣٦٩٩	− ٩٤٥٧٤٦٠	١٨٣٠٢٨	٢٤٣٠١٢	+ ٥٩٩٦٩	١٥٢٥٦١٨	٢٠٢٥٢٨٨	+ ٤٩٩٧١٠
اسوج	٤٢٩٦٢١	٥٨٠٦٢٧	+ ١٠١٠٠٦	٦٦٦١٤٠٢	٨٠٦٤٢٦٥	+ ١٤٠٢٨٦٣	٥	·	− ٥	٥٥٥	·	− ٥٥٥
اموریكه	٤٢٣٦٦٨	٦٣١١١	− ١٢٠٥٥٧	٣٢٤٥٣٩٢	٨٢٦٥١٠	− ٢٣٦٨٨٥٢	٢٠٩٥٣٢	١٤٢٣١١	− ٦٧٢٢١	٢٣٢٨١٢٢٢	١٦٣٦٧٨٨٧	− ٦٩١٣٤٤٦
بلجیكه	١٦٥٦٢٠١	١٨٠٨٩٠٠	+ ١٥٢٦٩٨	٦٤٦٢٦٤٢٣	٦٦٧٩٠٢٨٢	+ ٢١٦٣٨٥٩	٢٢٩٩٦	٣٤٩١١	+ ٦٩١٥	٣١١٠٦٦٦	٣٨٨٢٣٣٤	+ ٧٧١٦٦٨
دانمرك	٩٦١	٢٢٧٦	+ ١٣١٥	١٢٣٤٧	٣١٦١٠	+ ١٨٢٦٣	٢٨٦٤	٦١٤١	+ ٣٢٧٧	٢١٨٤٤١	٦٨٢٢٢٢	+ ٣٦٤١١١
الروسیه	١٣١٥٦٢٢٣	٩٢٨٣٢٠٥	− ٤١٢٣٤١٨	١٨٦٨٩٨٩٢٥	١٢٨٩٣٤٧٩١	− ٥٧٩٦٤١٣٤	١٢٢٢٩٨٢	١٢٨٩٥٨٧	+ ٦٦٦٠٥	٢٥٣٣١٢٣١	٣٢١٧٦٣٢٧	+ ٦٨٤٤٩٩٦
رومانیه	٣٣١٠٤٤٧	٤١٥٤٦٣٢	+ ٨٤٤١٨٥	١٥٩٢٨٤٣١	٥٢٢٠٣٢٢٢	+ ١١٢٢٤٧٩١	٢٦٢٠٦١	٢١٢٦٢٤	− ٤٩٤٣٧	٢٩١١٧٨٨٦	٢٣٦٢٤٨٨٦	− ٥٤٩٣٠٠٠
الیاپان	·	١٣٨٧٦٤	+ ١٣٨٧٦٤	·	٣٣١٦١٦٢	+ ٣٣١٦١٦٢	·	·	·	·	·	·
سربیه	٥٢٢١٢٣	٥٠٢٦٣٩	− ١٤٤٩٤	٢٢٥١٨٤٣	٢٠٥٠٥٢٨	− ٢٠١٣٠٥	٤٦٢٦٠	٤٢٨٦٦	− ٣٣٩٤	٥١٥١١٠٤	٤٧٦٢٨٨٨	− ٣٨٨٢١٦
الفلمنك	٨٧٦٤٠٦	٨٩٨٨٠٢	+ ٢٢٣٩٦	١٢١٢٢٣١٣	١٢٤٨٣٣٧٢	+ ٣٦١٠٥٩	٢١٢٢٣٠	٣٨٦١٨٤	+ ١٧٤١٥٤	٢٣٥٩٢٢٢١	٤٢٩٤٢٦٦٦	+ ١٩٣٥٠٤٤٥
فرانسه	٢١٢٥٣٨٩١	٢١٢٣٢٩٢٨	− ٤٢٠٩٦٣	٣٠٢١٣٢٣٢٥	٢٩٦٢٩٠٦٢٤	− ٥٨٤٦٧٠١	١٠٥٦٣٠٢	٤٢٠٣٢٢	− ٦٣٥٩٨٠	١٥٠٢٠٠٢١٦	١٢٩٥٣٨٧٧٨	− ٢٠٦٦١٤٣٨
جبل الاسود	٥٩٩١٦	٥٢٦٨٠	− ٢٦٣٦	٨٣٢١٦٥	٢٩٥٥٥١	− ٣٦٦١١	٣٣٦٦٠	١٩٣٣١	− ١٤٣٢٩	١٦٢٤٩٢	٢٦٨٤٤٧	− ١٩٩٠١٠٢
الیونان	٣٠٤٤٥٥١	٢٦٨٤٤١٨	− ٣٦٠٢٣١	٤٢٢٨٥٤٤١	٣٧٢٨٠٢٢٧	− ٥٠٠٥٢١٤	٤٩٣٠١٥	٣٧٢٣٤٢	− ١٢٠٦٧٣	٥١٢٢٩٤٢٨	٤١٣٢١٣٣٥	− ١٣٤٠٨١٠٢
الجمع	١٢٤٢٨٨٠٢٣	١٦٦٦١٢٩٤١		٢٢٩٣٢٣٨٤٢٢	٢٢٤٩٥٠١١٢٢٢		١٣٦٥٩٨٦١	١٢٨٦٩٥٦٣		١١٩٥٦٢٣٤٣٦	١٥١٤٢٠٣٢٠٣	
الایالات العثمانیه الممتازه												
مصر	٤٤٤٣١٢٠	٤٨٠٢٢٣٤	+ ٣٥٨٩١١	٦١٢١١٦٦٨	٦٦١٢٦١٦٨	+ ٤٧١٢٣٠٠	·	·	·	·	·	·
بلغاریه	٦٢٦٨٧٥٠	٨٩٦٣٨٧٧	+ ٢٦٩٥١٢٧	٩٤٠١٠٤٦٨	١٢٤٤٤٨٤٩٨	+ ٣٠٤٣٣٩٨٠	٣٦٢٣٩١	٣٨٦٧٧١	+ ٢٤٣٨٠	١٠٢٦٥٦٢٠	١٢٩٧١٥٦٤	+ ٢٧٠٨٨٤٤
سیسام	٧٢٢٥	٥١٦٥	− ٢٠٦٠	١٠١٧٢٢	٧٣١٢٢	− ٢٨٦١١	٢٠٦٢٨	٣٣٣	− ٢٠٢٩٥	٢٨٦٥٠١	٤٦٢٦	− ٢٨١٨٧٥
تونس	٤٤١٣٠٢	٤٤٤٤٤٠	+ ٣١٣٨	٦٦٤٩١٩٣	٦٧٧٧٧٧٦	+ ١٣٥٨٣	١٥٢٣٨	٥١٦٣	− ١٠٦١٥	٢١٩٩٢٢	٧١٢٠٣	− ١٤٨٢٦٦
الجمع	١١٦٦٠٢٩٣	١٤٢١٤٩١٦		١٦١٩٥٥٥١٦	١٩٢١٥٦٢٦٥		٣٩٨٨٥٢	٣٩٢٢٦٢		١٠٢٢٢١٤٤	١٣٠٥٠٨٩٢	
جمع الجمع	١٣٦٤٤٤٨٢٠	١٨٠٨٢٧٨٥٧		٢٤٥٥٣٩٣٩٨٨	٢٤٤١٦٦٩٤٥١٢		١٤٠٥٨٢١٨	١٤٢٦١٨٣٠		١٥٣٦١٤٤٥٨٠	١٥٥٢٧٠١٢٠٠	

وتتميماً للفائدة نقلنا عن تقويم غوطا المذكور آنفاً قائمة تجارة المملكة العثمانيـة مع بعض الممالك الاجنبيَّة سنة ١٨٩٣ — ٩٤

اسماء الممالك	ادخالات الوف غروش	اخراجات سنة ١٨٩٣ — ٩٤ الوف غروش
انكلترة	٩٠٥,٤٩٨	٥٧٣,٥٩٨
فرنسة	٢٧٤,١٠٥	٣٥٥,٨٢٦
النمسة	٥١٦,٣٥٣	١٣٢,٨٦٥
روسية	١٥٠,٤٤٣	٣٣.٥٢١
ايطالية	٦٢,٤٤٨	٤٦,٩٨٦
امارة البلغار	١٢٣,١٢٩	٣٦,١٤٤
رومانية	٧١,٤٨٩	٢٣,٨٦٦
مصر	٦٨,٣٥٦	
المانية	٢٨,١٧٠	٢٩,٤٦٦
اليونان	٤٢,٨١٥	٢٣.٣٨٤
بلجكة	٦٦,٥٧٩	٥,٨٦٤
العجم	٦٧,١٥٨	١,٧٢٠
سربية	٦,٦١٥	٦,٧٣٠
اميركة (الولايات المتحدة)	٢,٠٥١	١٥,٠٣٣
تونس	٢,٠٤٢	٤١
غيرها من البلاد	٩,٨٢٠	١,٥١٤
مجموع سنة ٩٣ — ٩٤	٢,٤١٠,٨٦٦	١,٣٣٦,٢٤٢
« « ٩٢ — ٩٣	٢,٤٤٦,٦٩٩	١,٥٥٧,٥٢٢
« « ٩١ — ٩٢	٢,٤٥٥,٣٩٤	١,٥٣٢,٠٠٥

انَّ السلع المعفاة من الرسم الجمركي كالاسلحة والآلات الحربيَّة والامتعة الواردة باسم السفراء والقناصل والمعابد والمكاتب وادوات الزراعة والصناعة ولوازم المعامـل والخطوط الحديديَّة والصادرات من التبغ المحلي لم تُذكر في هذين الجدولين. وعليه فقد حسب احد المدقّقين العثمانيين ان تجارة الدولة العليَّـة العموميَّة تبلغ مع هذه المواد وبعض الاشياء المستثناة الواردة من مصر ورومانية زهاء اربعة مليارات غرشاً

ويظهر من الجدولين المذكورين ان اكثر مناسباتنا التجاريَّة هي مع بريطانيـة العظمى وتليها فرنسة فالنمسة فالروسيَّة الخ

وقد بدأت تجارة الممالك المحروسة الخارجيَّة في اواسط القرن الرابع عشر مع اهل البندقيَّة (Venise)٠ لكنَّ فرنسة ما لبثت ان زاحمت هذه الدولة البحريَّة في اسواق البلاد العثمانيَّة على عهد السلطان سليمان القانوني وملكها فرنسوا الاوَّل لما حدث بينهما من العلائق الوداديَّة٠ واتَّجر معنا من بعدُ الهولانديون والانكليز وغيرهم من الاقوام حتى بلغت تجارتنا منزلتها الحاضرة٠ على انَّ اهمَّ وارداتنا الآن من انكلترة هي الخام والشيت والحديد والقصدير والفحم الحجري وصادراتنا اليها هي الصوف والقطن وانواع الحبوب٠ واماً من فرنسة فتأتينا المنسوجات الحريريَّة والقطنيَّة والتخاريم وادوات الزينة وانواع التحف والمشروبات٠ ويُخرج اليها الزبيب والحرير الغير مصنوع والبلُّوط والقطن والصوف والنبيذ والتين اليابس

وهاك مفردات اهم واردات سنة ١٨٩٣ — ٩٤ وصادراتها

ادخالات	مليون غروش	ادخالات	مليون غروش
سكر	١٧٥٥	مصنولات حديدية	٤٢٩
حبوب وطحين	١٧٢١	اجواخ	٤٢٦
اقمشة	١٦٧٧	اخشاب	٣٧٤
پيكه	١٣٣٠	حرير غير مصنوع وشرانق	٣٣٢
منسوجات صوفية وقطنية	١٢٠٧	خرده	٣٢٩
اجزاء طبية وعطاريَّة ودهانات	١٠٢٤	سمن وجبن	٣٢٥
قطن وغزل	٨٩٥	ورق	٢٨٧
قهوة	٨٨٧	بسط وسجادات	٢٧٢
ارز	٨٧٣	حرابر	٢٥٥
جلد وسختيان	٨٣٤	فحم حجر	٢٥٣
ماداپولام	٥٤٣	خيش أثواب وأكياس	٢٤٩
كزمير	٤٦٣	البسة (بدلات)	٢٤٠
پترول	٤٦١	نحاس	٢٣٨
حديد	٤٦٠	طرابيش وبرانيط	٢٢٦

اخراجات	مليون غروش	اخراجات	مليون غروش
عنب وزبيب	١٧٨٢	قطن	٦٧٥
حرير غير مصنوع وشرانق	١٦٦٨	اجزاء طبيَّة وعطارية ودهانات	٥٣٨
حبوب وطحين	١٢٧٤	عفص	٥٣٠
ميد (نوع من الاقمشة)	٦٩٤	قهوة	٤٧٢

جلد وسختيان	٤٣٩	بزور	٢٤٤
المعادن غير المصنوعة	٣٩٣	سيرج وسمسم	٢٤١
بقول	٣٩٢	تمر	٢٤٠
زيت زيتون	٣٨٥	بسط وسجادات	٢٠٨
صوف	٣٨٤	حيوانات	١٩٨
تين	٣٨١	بندق	١٤١

هذا وكنت اودّ ان افرد في رسالتي هذه فصلًا لتجارة سوريّة واحوالها الاقتصاديّة الحاضرة فلم اعثر لسوء الحظّ على شيء استعين بهِ وعليهِ ابقيت هذا الشمل الى وقتٍ آخر

في ان جمع فَعْل على افعال قياسيٌ مطَّرد

لحضرة اللغويّ البارع الخوري يوحنا برتا المرسل الرسولي في بطريركيّة اورشليم اللاتينية

قالت النحاة: ان الاسم اي الموصوف الصحيح العين اذا كان على وزن فَعْل جُمع قياساً مطردًا على أفعُل وفِعال وفُعول وفُعلان كبَحْر وأبحُر وسَهْم وسِهام وفَلْس وفُلوس وظَهر وظُهران لكنّهم صرّحوا بانهُ لا يجمع على أفعال الّا شاذًا او نادرًا (١. ووافقهم على ذلك اهل اللغة. قال ابن برّي: ان فَعْلًا لا يُجمع على أفعال الّا قليلًا او شاذًا كما نقلهُ ابن منظور والزبيدي في ترجمة «وزن وجنى». وجاء في الصحاح والمختار واللسان والتاج: ان الاصل في أبٍ وأخٍ وحمٍ وماءٍ هو أَبَوٌ وأَخَوٌ وحَمَوٌ ومَوَهٌ بالتحريك لانها تُجمع على افعال فيقال: آباء وآخاء واحماء وامواه. وذهب الجوهري الى ان الابن اصلهُ بَنَوٌ « لان جمعهُ ابناء مثل جمَل واجمال... ولا يجوز ان يكون فَعْلًا ساكن العين لان الباب في جمعهِ انما هو أفعُل مثل كلب وأَكلُب او فُعول مثل فَلس وفُلوس». ونقلهُ في اللسان والتاج. واما «الاثنان» فقالوا ان اصلهُ ثِنْيٌ او ثَنَيٌ كما في القاموس والمصباح واللسان لجمعهم ايّاه على اثناء. وجزم صاحب التاج بان جمع فَرْخ على افراخ شاذ

١) قال ابن هشام في شرح الشذور: « ان فَعْلًا لا يُجمع على افعال قياساً الّا في معتلّ الوسط كأثواب وأبيات ». ويندرج في ذلك نحو باب وناب لانّهُ في الحال وِزانُ ثَوب وبَيت وفي الاصل وزان جَمَل وفَرَس وكلاهما معاً يُجمع قياساً على أفعال عند جمهور النحاة واللغويين فيقال: ابواب واتواج وارياش وانياب ونحو ذلك. خلافًا لصاحب التسهيل وصاحب مختصر المانة

« لان فَعْلًا الصحيح العين لا يُجمع على افعال وشذَّ منهُ ثلاثة الفاظ « فَرْخ وأفراخ وزَند وازناد وحمل واحمال » قالهُ ابن هشام في شرح الكمبيَّة واشار اليهِ في التوضيح وغيرهِ قال: ولا رابع لها بخلاف نحو « ضيف واضياف وسيف واسياف » فانهُ باب واسع كذا نقلهُ شيخنا . وكرَّر ذلك في ترجمة زند وسطر وشهد ونجد وغيرها

قلتُ ان ما ذهب اليهِ النحاة واللغويون في جمع فَعْل الصحيح العين على افعال لَمِن الامور الغريبة لانهم قد اجمعوا على غلط مبين والعصمة لله رب العالمين

وادلُّ دليل على غلطهم ان ما سُمع عن العرب من جموع فَعْـل على أفعال اكثر جدًّا ممَّا سُمع من جموعهِ على أفعُل وفِعال وفُعلان. وان كانوا يسلّمون بجمعهِ قياسًا على افعُل وفِعال وفُعلان فأَنْ يسلّموا بجمعهِ قياسًا مطَّردًا على أفعال احقُّ واولى. وتأكيدًا لهذه القاعدة المستدركة عليهم اقول اني قد استقريت جميع المواد الثلاثيَّة التي تضمَّنها محيط المحيط للمعلم البستاني واقرب الموارد والذيل للمعلّم الشرتوني وجمعت كلَّ ما ورد فيهما من جموع فَعْل الصحيح العين على فُعول وفِعال وأفعُل وفُعلان وأفعال ثم راجعتها في امهات كتب اللغة فاذا الوارد منها على فُعول اربعمائة وستون جمعًا. وعلى فِعـال مائتان وواحد وعشرون. وعلى افعُل مائة واثنان واربعون. وعلى فُعلان اثنان وثلاثون لا غير. وامَّا جموع فَعْل على أفعال التي قيل عنها انهـا ثلاثة فقط اي افراخ وازناد واحمال ولا رابع لها فيرتقي عددها الى ثلاثمائة وبضعة وثلاثين وكلها مسموعة لورودها في الاصول المعتمدة كالاساس والصحاح والمختار والمصباح ولاسيما اللسان والقاموس والتاج (١ وها انا اذكر اكثرها واشهرها اتمامًا للفائدة واثباتًا للقاعدة

فممَّا جاء مجموعًا على أفعال:

أرْضٌ وآسٌ والفٌ وألوٌ وألْيٌ (٢ وأسٌ وأمْل وأهل. وبَدْءٌ وبرت وبرث وبرٌّ وبرض

---

١) وجدتُ في بعض المعاجم المصريَّة كمعجم فريتغ ومحيط المحيط واقرب الموارد واحدًا وثلاثين جمعًا على أفعال اغفلتها امَّهات اللغة. فاذا ضممناها الى ما ورد في الامهات اوفى المجموع على الثلثمائة والستين. وكذا رأيتُ في المعاجم المصريَّة واحدًا وعشرين جمعًا على فُعول وستَّة على فِعال وخمسة على فُعلان لكني لم اجدها في الاصول القديمة

٢) ورد في القاموس وشرحهِ: « والآلاء بالمدّ النِعَم واحِدها إلْيٌ بالكسر وألْوٌ بالفتح كدَلْو وأدلاء وألْيٌ بالياء »

وبث (١ وبعد وبعض وبغل وبَهْو. وتلٌّ. وثأر وثط وثعب. وجدٌّ وجدل وجرس وجرش وجَزء وجشٌّ وجفرٌ وجفل وجفن وجلس وجلد. وحَبْر وحبس وحَبل وحتٌّ وحدس وحضج وحفص وحقو وحلق وحمٌّ وحمل وحمْو. وخبت وخرت وخشف وخصم وخطر وخطٌّ وخقّ. ودأث ودجن ودحل ودرك ودث ودهس. وذحل. ورأس ورأي وربٌّ وربع وربق ورذل ورطل ورغس ورمس ورهط. وزند وزهر. وسجع وسمر وسجل وسطر وسطل وسلع وسم. وشتٌّ وشجب وشجر وشجن وشحص وشخص وشرٌّ وشرق وشطٌّ وشطس وشمر وشنل وشكل وشنف وشنٌّ وشهد. وصبغ وصحب وصحن وصمو وصفر وصلت وصلد وصعد وصنف. وضبع وضحل وضنث وضفر. وطبل وطرف (٢ وطفذ وطلق. وعبد وعجب وعجز وعجس وعرش وعرض وعقد وعلث وعلد وعمر وعمق وعمٌّ وعمْو. وغرب وغرس وغرض وغمض. وفخذ وفذٌّ وفرخ وفرد وفرط وفزٌّ وفسل وفظٌّ وفنٌّ. وقدر وقرق وقرح وقلد وقلس. وكبد وكبش وكتف وكرٌّ وكرس وكنٌّ وكفٌّ. ولاظ ولحن ولطع ولعط ولنط ولفظ ولفٌّ. ومأق ومحل ومرت ومرس (٣ ومرش ومرع (٤ ومرق ومرن ومشج ومشط ومنص ومنّ. ونبذ ونبل ونجد ونجل

---

١) اعلم ان كثيراً مما اوردتهُ هو من باب الصفة لاني اذهب ان فَعْلًا موصوفًا كان او صفةً صحيح العين او معتلَّها يُجمع قياساً مطَّردًا على أفعال

٢) قال صاحب اللسان: « الطَّرْفُ والطِّرْف الحذقُ الكريم من الفتيان والرجال وجمعها أطراف ». وجاء في الحديث: « غضُّ الأطراف » وهي جمع طَرْفٍ بمعنى العين. ولا دليل على تصحيف « الاطراف » في هذا الحديث كما ادَّعاهُ الزمخشري. واما قول اهل اللغة « انَّ الطَّرْف لا يُثنَّى ولا يُجمع لانهُ في الاصل مصدر او لانَّهُ مصدر » فغير سديد لان المصدر اذا جُعل اسماً خرج عن المصدريَّة فجاز تثنيتهُ وجمعهُ كسائر الاسماء كما صرَّح بهِ غير واحد من المحققين. ثم ان المصدر اذا كان مبيَّنًا للعدد او للنوع فلا شكَّ في جواز جمعهِ قياساً كما ذهب اليهِ جمهور النحاة خلافًا لاهل اللغة. والشواهد على جوازهِ اكثر من ان تحصى فنها قولهم: الظنون والضُّبوم والحتوم والعقول والفضول والنضوح والحلوم. والاحلام والاشغال والامراض والاعمال والانصاب والانزاع والاصباغ. والاحمُد والبُلَّاين. والاعذبة والاسولة والاسئلة والسؤالات. والتحاسين والتكاذيب والتكاليف والتسابيح والتحاميد والتماجيد. والمَواوِل والمواجر والجواعر والجوازي والثواغي والرواغي والصواهل والموافي. والملاحس والتجارب والتجاريب والمواعيد. ومنها الوُعود جمع وَعد انكرها طائفة من اهل اللغة ولكن حكاها ابن جنّي وهو ثَبَت من الاثبات واستعملها الحريري في مقاماتهِ ٢٩ و٣٦ و٤٣ و٤٧ وقال المتنبي:

لقد حالَ بالسيفِ دون الوَعيدِ وحالتْ عطاياهُ دون الوُعودِ

٣) الامراس نقلها صاحب التاج في مظنَّتها وذكرها اللسان والتاج استطرادًا في ترجمة مرش

٤) قال في اللسان: « المَرْعُ الكلأُ والجمع امرُعٌ وأمراع مثل يمن وأيْمُن وايمانٍ ». فالايمُن والايمان في جمع يَمْنٍ مما يُستدرك بهِ على كل المعاجم كما يُستدرك عليها ايضاً بأفلاس جمع فَلْسٍ وأدلاء جمع دلوٍ استطرد للاولى صاحب التاج في ترجمة شحص والثانية في ترجمة « الي وقرا وتمي »

ونجم ونحوٌ ونذل ونسل ونصب ونصف ونمم ونقر ونقب ونمر . وهجل وهمم وهضب وهضم وهكٌ . ووأب ووبش ووند (ويُقال فيهِ وِدٌّ) ووجم ووحش ووحل (١ ووخش ووخم وورب وورق وورك ووزن ووسق ووصف ووضع ووطب ووعر ووعل ووغب ووغد ووغل ووغم ووقد ووقش ووقص ووقع ووقب ووقت ووقس (٢ ووقف (٣ ووقل ووكر ووهز (٤ ووهط ووهم

فهذه مائتان ونيِّف وعشرون لفظة على فَعْل قد سُمِع جمعها على أفعال ولو لم يأتِ غيرها لكانت كافيةً لاثبات القاعدة المشار اليها . ثمَّ ان النحاة الذين صرَّحوا بان ما كان من الاسماء على فَعِل وفَعُل يُجمع قياساً على أفعال قد نصّوا ايضاً على جواز تسكين العين في نحو كتِف وعضُد فيقال كتْف وعضْد وهلمَّ جرًّا وهو لغة تميم وقبائل ربيعة . وعليهِ فيكون نحو اكتاف واعضاد جمعًا قياسيًا لكتِف وعضُد ولكتْف وعضْد على حدٍّ سواء .

فمن امعن النظر (٥ في كل ما اسلفنا ذكرهُ فلا مناص لهُ من ان يُجيز جمع فَعْل

---

١) قال الجوهري والصاغاني والرازي وابن منظور والزبيدي ان الوَحْل لغة رديئة . قلتُ : وصريح عبارة الاساس والقاموس والمصباح انَّها فصيحة كالوَحَل بل تقديم ذكرها في القاموس يُفهم انها اشهر واعلى من الوَحَل ٢) ورد في اللسان والقاموس ان الأَوقاس لا واحد لها . على ان ابن السكّيت قد نقل في باب الجماعة من كتاب تهذيب الالفاظ انهُ :« يُقال بها اوقاس من الناس واحدهم وَقْسٌ » . وجاء في التاج :« وقال كراع واحدها الوَقْس »

٣) الاوقاف والاسطال والابئال قد اغفلتها امهات اللغة ما عدا المصباح . وجاءت الاوقاف ايضاً في المقامة الاربعين لبديع الزمان وشرح الاشموني على الالفية . واما الاسطال فقد ذكرها ايضاً الازهري في التوضيح على التصريح قال :« وسُمع ايضاً فَعْل وأفعال في شكل وسمع ولفظ ولحظ ونحل ورأي ورأد وهو اصل اللحيين وسطل وجفن ولحن ونجد وفرد وجلد والف وانف وثلج» . ثم ان جمع الثلج على أثلاج مما يُستدرك بهِ على كل المعجمات كما يُستدرك ايضاً عليها بدَرْج وادراج . قال الصبان في حاشيتهِ على مقدمة الاشموني :« والادراج بفتح الهمزة جمع دَرْج بفتح الدال وسكون الراء او فتحها ما يُكتب فيهِ »

٤) قال صاحب اللسان :« ورَجُلٌ وَهْزٌ غليظ شديد مُلزَّز الخلق قصيرٌ والجمع اوهاز قياساً » . وقال صاحب التاج :« الوَهز بالفتح الرجل القصير قالهُ ابن دريد قال : والجمع اوهازٌ قياساً » . فكأنهما نسيا ما قالاهُ غير مرةٍ ان فَعْلًا الصحيح العين لا يُجمع على أفعال الّا قليلًا وشاذًّا واقرّا بالقاعدة التي نحن بصددها

٥) نقل في محيط المحيط واقرب الموارد :« امعَن النظر في الامر بالغ فيهِ وابعد في الاستقصاء» واغفلت كل المعاجم القديمة امعن متعديًا بنفسهِ في مادتهِ . ومع ذلك فلا مانع من استعمالهِ متعديًا لورودهِ على هذه الصورة في كلام البلغاء والثقات . قال الحريري في المقامة الحلوانية :« امعنتُ

على افعال قياساً مطرداً والّا لزمهُ ان ينبذ معظم قياسات النحاة واللغويين لانهم ربَّما بنوا قياساتهم على اربعين لفظةً او ثلاثين او عشرين او اقلّ. وممّا يدلّك على صحة قولنا ان ما جاء من جموع فَعْلٍ على فُعلان لا يبلغ الاربعين كما تقدَّم ومع ذلك فهذا الجمع قياسيٌّ عند النحاة. وذهب الجوهري وابن منظور وصاحب التـاج (في مادَّة عاب) والنحاة الاقدمون (١ الى ان المصدر الميمي من الاجوف الثلاثي المكسور العين في المضارع يجوز بناؤهُ قياساً على وزن مَفعَل ومفعِل. ونقلهُ في خاتمة المصباح عن ابن السكّيت مع ان المسموع منهُ على مفعِل لا يتجاوز الاثنين والعشرين حرفاً كما تثبّتهُ غب استقراء جميع الموادّ الاجوفيَّة في لسان العرب. وذهب ايضاً الجوهري وابن سيده وصاحب اللسان ان استعمال النحت في نحو عَبدريّ وعَبْشَميّ جائز قياسيٌّ مع ان المحفوظ من هذا الباب هو دون العشرين. وعليهِ فلا اكاد اشكُّ في ان النحاة واهل اللغة المصريين يُحلّون محلَّ القبول القاعدة التي قدمت بيانها واثباتها لاسيما وبها نستدلّ على فصاحة بعض الفاظٍ وعربيَّةِ غيرها وبها نتمكَّن من اصلاح ما ورد في المعاجم القديمة والحديثة من السهو والخلل في عدّة مواضع. وها انا ذا موردٌ بعضها خدمةً للغة

اختلفت آراء الائمّة في الجِبر والحَبر ولخَّصها في مختار الصحاح بقولهِ: « الحَبر

النظر في تَوشّيهِ وسرَّحتُ الطرف في ميسمهِ ». وقال العلّامة الشريشي في شرحها: « امنتُ بالنظر وادَمتُ النظر واصلهُ من امن في الارض اذا ابعد الذهاب فيهِ ». وقال صاحب التاج في ترجمة قطن: « وهو الذي تكلَّم في الرجال وامنَ البحثَ عنهم ». وفي ترجمة نطس: « كلّ من امعن النظر في الامور واستقصى عليها فهو متنطّسٌ ». واعلم أنّ عبارة صاحب التاج « واستقصى عليها » المنقولة عن اللسان ممّا يُستدرك بهِ على كل المعاجم لانها اغفلت استقصى متعدياً بعلى. قال صاحب الكلّيات: « استعمال الثقات الالفاظ في المعاني يُحمل بمنزلة نقلهم وروايتهم وإن لم يوجد في كتب اللغة ولا في استعمالات العرب» وهو قول نفيس جدًّا فاحفظهُ. ويمكن تخريج « امعن النظر » وما شاكلهُ على التضمين وهو مقيسٌ عند الاكثرين كما نقلهُ ابو حيان وغيره. او على نزع الخافض فان بعضهم يقيسهُ كما في حاشية يس على شرح التصريح وقد نزَّلهُ المصنّفون عموماً منزلة القياسي لكثرة ما سُمع منهُ كما في حاشيتي الصبّان والخضري. واعلم ان التخريج اي التوجيه قد استعملهُ النحاة واللغويون في كلام العرب وفي ما جاء في الحديث والقرآن نفسهِ اي في ما صدر عن قائليهِ عمدًا لا سهوًا وفي ما نطقوا بهِ عن معرفة تامّة لا عن جهل وفي ما قالوهُ وهم في سعة من اجتنابهِ لا لضرورة. اي في ما يسوغ لكل ناثرٍ وناظمٍ ان يعتمد عليهِ كحجَّةٍ وقاعدة

١) قال في اللسان: « قال ابو اسحق وعند النحويين انَّ المصدر في هذا الباب بابهُ المَفعَل والمَفعِل جيّدٌ بالغ » (مادَّة ح ي ض)

بالكسر والفتح احد احبار اليهود والكسر افصح لانهُ يجمع على أفعالٍ دون فُعُول (او دون فَعل كما في اللسان). وقال الفرّاء: هو بالكسر. وقال ابو عبيد: هو بالفتح. وقال الاصمعي: لا ادري اهو بالكسر او بالفتح ». قلتُ: ولا بيّنة لمن انكر الحِبر بالفتح او توقّف في عربيّتهِ او ادّعى ان الكسر أفصح سوى زعمهِ ان فَعلًا لا يُجمع قياسًا على أفعال وهو مردود بالقاعدة المذكورة فالفتح لغة فصيحة كالكسر ان لم تكن الفصحى. وكذا القول في السِّدْر والبَذْر والرِطل والرَطل خلافًا لمن جزم بان الكسر فيهما أفصح. قال في القاموس: « الحَنيُ ويُكسر.. والجمع أحناء وحِناء ». وانكر الفتح صاحب التاج غير ان الحَنْي بالفتح قد حكاهُ ايضًا الثعالبي في فقه اللغة (طبعة الاباء اليسوعيين ص ٢٨٧) ونقلُ العَدل مقبول. نقل ابو زكرياء التبريزي في كتاب تهذيب الالفاظ لابن السكّيت: « والارزان مواضع تمسك الماء وفيها صلابةٌ واحدها رَزْنٌ ورِزنٌ » (طبعة الآباء اليسوعيين ص ٣٩٨). ومثلهُ في اللسان والتاج. واماَّ ابن حمزة فقال: « هو الرزن بالكسر لا غير » وصوّبهُ ابن بَرّي بدليل « ان فَعْلًا لا يُجمع على افعال ألّا قليلًا ». ولكن لا عبرة بانكارهما الرَزن بالفتح لان غيرهما قد حكاها بل هي اللغة الفصحى لاقتصار الجوهري وصاحب القاموس عليها

وكما انهم انكروا مفرداتٍ لمجيئها على فَعل وجمعها على أفعال فكذلك انكروا جموعًا لكونها على أفعال ومفردها على فَعل. نقل في القاموس انهُ يُقال في جمع أَجْرٍ آجارٌ وفي جمع الوَرْد من الخيل أوراد واستعمل الأنسار جمعًا لنَسر كما استُدرك في ذيل اقرب الموارد. واماَّ صاحب التاج وشيخهُ فقد انكرا هذه الجموع الثلاثة بحجة انها غير معروفة والقياس يأباها. ألّا انهما محجوجان بحكاية صاحب القاموس وبالقاعدة التي اثبتناها فالجموع المذكورة عربيّةٌ صحيحة لان السماع يؤيدها والقياس يعضدها

ورد في الصحاح والمختار والمصباح والتاج ان الأسطار انما هي جمع سَطَرٍ بالتحريك(١ والاسحار جمع سُحرٍ او سَحَرٍ وعندي ان رأي هؤلاء الائمّة ممّا لا يُعرّج عليهِ لان ابن منظور والفيروزابادي قد نقلا ان الاسطار هي ايضًا جمع سَطْر والاسحار جمع سَحْر

١) قال صاحب التاج: «قال شيخنا: وظاهرهُ (اي ظاهر كلام المجد) ان اسطارًا جمع سَطْر المفتوح وليس كذلك كما قرّرناهُ غير مرّة ان فَعْلًا بالفتح لا يُجمع على أفعال في غير الالفاظ التي ذكرناها غير مرّة (اي فرخ وحمل وزند) بل هي جمع لسَطَرٍ المحرَّك كسَبَبٍ وأسباب». والصحيح خلافهُ كما رأيت

وهو القياس. وقال صاحب التاج في بَدْء وبرث وجَش. وغيرها أنها جُمعت على أفعال شذوذًا او على غير قياس وانت خبير بان ذلك دعوى عارية من الدليل. وجزم ايضًا بان الأنخاج جمع نَخاجٍ غير ان نصّ القاموس صريحٌ في انهُ جمع النَخج ايضًا. ومَن حفظ حجّةٌ على من لم يحفظ

وقال صاحب المصباح حسب عادتهِ: «ان الاذحال انما هي جمع ذَحْلٍ (مع ان سائر الامهات قد اقتصرت على الذَحْل بالفتح) وان الأشداق انما هي جمع شِدْقٍ والاشعار جمع شَعَر والاصناف جمع صِنف والاقراء جمع قُرء والالحاد جمع لُحد والانهار جمع نهَر والاوحال جمع وَحل والاوساق جمع وِسق والاوعال جمع وَعِل والاوفاز جمع وَفز» لكنَّ قولهُ ليس بشيء. لان سائر أُمهات اللغة ولاسيما اللسان والقاموس والتاج قد صرحت بان واحد هذه الجموع هو بالفتح ايضًا اي وزان فَعْلٍ. ولا حجّة للفيومي على مدَّعاهُ خلا زعمهِ ان فَعْلًا الصحيح العين لا يُجمع قياسًا على أفعال وقد بيَّنَّا خلافهُ بيانًا كافيًا واثبتنا الصواب اثباتًا شافيًا

واما جموع فَعل على أفعال التي انفردت بذكرها المعاجم العصريَّة فهي: أبحاثٌ وأبراح وابقال واتبال واثمار واثقاب واجزان واجناب واخداش (١ وادراب (٢ وادهار (وفي اللسان والتاج «لم نسمع الادهار») وارقام واشطاط واشناع واخواب وامجاد وانباض وانجاع وانغام واوجار واوقاط. فهذه الجموع وان تكن قياسيَّة كما قررناهُ الَّا ان اهمالها في المعاجم اولى. قال عبد اللطيف البغداديّ: «اعلم انَّ اللغويّ شأنهُ ان ينقل ما نطقت بهِ العرب ولا يتعدَّاهُ واما النحويّ فشأنهُ ان يتصرَّف فيما نقلهُ اللغوي ويقيس عليهِ» كما نقلهُ السيوطي في المزهر (٣

---

١) نقل في محيط المحيط واقرب الموارد ان الخَدْش يجمع على خدُوش وخداش وأخداش. وقد اقتصرت جميع الامهات على الخُدوش. فالخِداش والاخداش قياس لا سماع

٢) اقول هنا استطرادًا ان الدرب بمعنى الطريق والدروب بمعنى الطُرُق ليستا من كلام المولدين ولا من كلام العامَّة كما ظنَّهُ بعضهم. قال ابن منظور في ترجمة درب: «وقيل هو بفتح الراء (الدَرَب) للنافذ منهُ وبالسكون (الدَرْب) لغير النافذ». وقال بُعيد ذلك: «ويجوز ان يكون (التدريب) من الدُروب وهي الطُرُق كالتَبويب من الابواب يعني ان المسالك تضيق فتَقِف الحرب» ومثلهُ في القاموس وشرحه

٣) ولكن لا مانع من استدراك ما اوردتهُ امهات اللغة من الالفاظ والمعاني والتراكيب في

وجاء في محيط المحيط: ثَقلٌ واثقال وثَلمٌ واثلام وكَظم واكظام غير ان الثقل

غير مطَّرِدٍ ومعنَــــاهُ وما استعملهُ المصنفون الثقات مع التنبيه على مأخذهِ كما صنع لنويُّ عصرنا الشهير والعلّامة الفاضل النحرير سعيد افندي الشرتوني اقتداءً بالجوهري وابن سيـده والفيومي وابن منظور وغيرهم من اعيانَ اللغويين الذين لم يكتفوا بكلام العرب بل نقلوا ايضاً الفاظاً ومعانيَ لا تُحصى عن كتب الفصحاء. قال في الصحاح: « الحرشفة الارض الغليظة نقلتهُ من كتاب الاعتقاب من غير سماع ». وقال في المصباح: « والقابول هو الساباط هكذا استعملهُ الغزالي وتبعهُ الرافعي ولم اظفر بنقل فيهِ ». ونقل ابن سيده « الاعرف » افعل تفضيـلٍ عن كتاب سيبويه وقال ايضاً: « ورأيتُ ابن جني قد جمع الغَلَط على غِلاط والمَنبر على عنابر » ونقل انَّ الاخفش ادخل الباء على دون فقال في كتابهِ في القوافي: « من ليس بدونهِ » واستدرك ابن منظور: « يبرهن حقيقتهُ » اي يُبينها عن قول الزجاج. « والاصليَّة » اي التأصُّل « وانالوهُ » اي زادوهُ « والتنزيلات » جمع تنزيل « واسرعهُ » عن ابن جني. « الخُروم » جمع خرمٍ عن ابي اسحق « والنضوح » جمع نضحٍ عن ابي حنيفة. « وقد تجَوْرَب جوربَين يعني لبسهما » عن ابن السكيت. واستدرك ايضاً الزبيـدي وشيخهُ « مَن اقيسهُ اليك » عن شعر المتنبي. « والمُستفاض » عن ابي تمام. « واستطالهُ » اي عدَّهُ طويلاً نقلاً عن مصنَّفات البيضاوي والزمخشري والسعد. « وأثرَهُ » متعدياً عن استعمال الازهري وابن المعتز وعبد القاهر والسكاكي وغيرهم. وقال ابن برّي: « اثانينُ (وهو جمع يوم الاثنين ، ليس بمسموع وانما هو من قول الفرّاء وقياسهِ. (قال) وهو بعيد في القياس » كما في اللسان والتاج ومع ذلك فقد استدركوهُ واثبتوهُ في الصحاح والمختار والمصباح والقاموس وغيرها من الأمَّهات. الى غير ذلك مما لا يُحصى. فمن هذا مثال هؤلاء الائمة قدَّم خدمةً جليلة للعربيَّة التي هي اوسع من أن تحيط بها كتب اللغة المعروفة. ومصداق ذلك انك تجد في تصانيف الاثبات بل في كلام العرب والحديث بل في القرآن عينهِ الفاظاً ومعانيَ جمَّة اغفلتها المعاجم في مظانّها او لم توفها حقَّ شرحها فدونك غصناً من دوحةٍ وبرضاً من عدّ. قال امرؤ القيس: « أَرْبَى » اي اعظمُ واكبرُ (اللسان والتاج في درص). وقال ذو الرمَّة: « نوازِبه » اي ظباؤهُ جمع نازب (الاساس في صهل). وفي شعر الاخطل ص ٢٥٥ « مُستوجِساتٌ » وروى ابن برّيّ قول ذي الرمَّة: « اذا استَوجَسَتْ » بمعنى تسمَّعت (اللسان في انس). وجاء في الحديث: « تجَلْبَبوا السكينةَ » متعدياً (اللسان والتاج في لؤم). وفيهِ ايضاً « ما كنَّا نتناجمُ انَّ ملَكاً ينطق على لسان عُمر » فسَّر اللسان والتاج وذيل اقرب الموارد التناجم بالتكنية والتورية والاصحُّ عندي انهُ بمعنى الشكّ والارتياب كما في الالفاظ الكتابيَّة ص ٢٦٥ وليس في المعاجم. وقال في القرآن: « فما لكم عليهنَّ من عدَّةٍ تعتدُّونها » اي تستوفونها او تستوفون عددها كما في المزهر وكليات ابي البقاء وردت في اللسان بدون شرح. وقال ايضاً في سورة الانبياء: « ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون » واغفلت المعاجم عكف متعدياً باللام. ومن غريب ما يُستدرك بهِ على كل المعاجم قولهم في جمع المُعجم « مُعجمات ومعاجم »

بمعنى الكثر والثلم بمعنى الثلم لا ذكر لها في سائر المعاجم واما الكثلم بالفتح فلم يرد الّا في ضرورة الشعر · وجاء في اقرب الموارد وذيلها: رَقْطٌ وارقاط نقلًا عن التاج وندبٌ وانداب الّا ان التاج لم يضبط الرقط فلا يُعرف ان كان ساكن العين او متحركًا · واما الانداب فهي عند صاحب القاموس جمع نَدْبَة وعند سائر اللغويين جمع نَدَبَة او نَدَب بالتحريك كما في اللسان وهامشه · وقال في التاج: النَّدْب ساكن الوسط لم يُسمع ألّا « في بعض الاشعار ضرورة » · وورد ايضًا في محيط المحيط واقرب الموارد « ثَغْرٌ واثار ووَفْطٌ واوفاط ووَفْظ واوفاظ ولكٌ وألكاك ولكوك » على ان النَّشْر بالفتح قياس لا سماع ويؤخذ من اللسان والتاج ان « الاوفاط والاوفاظ » لا واحد لها وقد اغفلت اللكّ وجمعَه كافّة الامهات وشفاء الغليل للخفاجي · ونقل فريتغ والبستاني والشرتوني وصاحب الفرائد الدريّة انهُ يُقال مَعْيٌ في واحد الامعاء · والذي اراهُ انهم لم يستندوا في نقلهم ألّا على نصّ عبارة الفيروزابادي · لكني لستُ منهُ على ثقةٍ لان المَعْيَ بالفتح قد اغفلتهُ كلُّ الاصول المعتمدة حتى القاموس الذي ورد في متنه المطبوع « المَعَى » مضبوطًا بفتحتين كالفتى · واما عبارة صاحب القاموس « والمَعي بالفتح » فليس المراد بها ان المعي ساكن العين بل ان الميم مفتوحة مع قطع النظر عن حركة العين · نعم من اصطلاحاته في القاموس انهُ اذا ذكر اسمًا ثلاثيًا مجرّدًا وعقّبهُ بقوله « بالفتح او بالضم او بالكسر » او « يُفتح ويُضمّ ويُكسر » كان ذلك الاسم وزان فَعْل او فُعْل او فِعْل باسكان العين في الجميع لكنّهُ قد جرى على هذا الاصطلاح في غير باب الواو والياء · واما في باب الواو والياء فقد يجري عليهِ وقد يخالفهُ مستعملًا ذلك التعبير بعينهِ في الاسم المقصور اي المفتوح العين كقولهِ: « أبَى بالفتح والحِجَا كإلَى العقل وبالفتح (الحَجَا) الناحية · والطَّلا بالفتح · والعِدا كإلى ويُفتح (العَدَا) · وفدَى (فِدَى) ويُفتح (فَدَى) · إنَا بالكسر · جِنَا الحرم بالضمّ والكسر · جُذًا بالضم والكسر · الفِحا ويُكسر » الى غير ذلك · وعليهِ فالمَعْيُ غير عربيّ ما لم يعزَ الى ثقةٍ وثَبْتٍ · وفي المَعَى اربع لغات اشهرها المِعَى وهي واردةٌ في كل المعاجم · والثانية المَعَى كما في المحكم لابن سيده واللسان والقاموس والتاج · والثالثة المِعاء كما في المصباح ومحيط المحيط واقرب الموارد والفرائد الدريّة · واما الرابعة فقد استدركتُها على جميع المعاجم وهي المِعْيُ ذكرها استطرادًا صاحب اللسان في ترجمة حسا قال: « وحكى الفارسي عن احمد بن يحيى حِسْيٌ وحِسًا

ولا نظير لها الا «معيٌ ومعىً وإنيٌ من الليل وانى». ونقل كلامهُ صاحب التاج

(المشرق) نسألت القرّاء الى هذه المقالة المسامحة وهي كلّها فوائد تشهد لصاحبها بطول الباع في اللغة وتدحض بعض مزاعم الفضلاء دحضاً تاماً

نبذة في المقابر

للاب خليل اده اليسوعي

كتبها بمناسبة وقوع تذكار الموتى في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني

هو المشهد يستلفت بلا شك منك الابصار اذا ما ساقتك يوماً الى البلاد الاوربيّة حركة الاشغال او رغبة الاسفار مشهدٌ يستهدف لاعينك حيثما حطّت بك مطايا البخار شرقاً ام غرباً شمالاً ام جنوباً لم يختصّ بهِ قطرٌ دون غيرهِ بل ولا بلدة دون اختها ألا وهو مشهد المقابر يروقك حسن اتقانها وجميل تنسيقها فهي اشبه بحدائق عامرة للاحياء منها بمنازل داثرة للاموات. والحقُّ يُقال أنهُ لا يشعر من يطأ تُربتها غمّ الفراق والوحشة لانّ أعلام الاستئناس لا تزال في ارجائها بيّنة واضحة فكأنّ سكّانها غابوا عن العيان وتواروا لزمنٍ ليس الّا

ولكي يتّضح لك صدق مقالنا فلنصرفنّ النظر عن المدن الزاهرة التي بوسعها ان تقوم بالنّفقات التي تقتضيها زخرفة مقابرها الرحبة فتبذل المال الطائل عن يدٍ سخيّة لاكرام موتاها وهلمّ الى احدى القرى الضائعة بين الحقول والاحراش واسأل هناك:

اين المقبرة مدينة الموتى (١)؟ اين المرقد (٢)؟ كما سمّاها اليونان واللاتين في لفظة تنطق عن صدق ايمانهم ومستقيم معتقدهم يعتبرون الموتى كقوم راقدين على اسرّة الثرى ينتظرون مجيء مخلّصهم ليفيقوا من سُباتهم لحياةٍ لا رقاد بعدها. لا تجهد نفسك بالتفتيش دونك الكنيسة منتصبة وقد كرّت عليها الاجيال فكست جدرانها بمسحة من جمال القدم. بجانبها يتصاعد الى الاعالي برج مكلّل بصليب كأنهُ يريد خرق القبة الزرقاء. مستمطراً غيث النعم على من لاذ بجوارهِ هناك مرقد المؤمنين «الحقل المقدس (٣)» على قول الطليان و «دار الكنيسة» او «دار السلام (٤)» في لغة الجرمان. وقد

١) ترجمة كلمة «Nécropole» المأخوذة عن اليونانية

٢) κοιμητήριον = dormitorium = cimetière

٣) il campo santo ٤) Kirchhof, Friedhof

فُرشت تربتهم ببساط من العشب الناضر تتبتّه انواع الزهور على اختلاف الفصول. ذلك فعل الطبيعة ساعدتها يد الاحباب اللبِقة وعينهم الساهرة. وناهيك عمّا يظلّل القبور من اشجار السرو الباسقة المورقة ابدًا فهي كدليل حيّ على خلود النفس بعد انحلال الجسم وحبّذا اشجار الخلاف المتهدّل الاغصان (الصفصاف المستحي) الذي تتلاعب الريح بافنانهِ فيُسمع لها صوت اشبه بصوت ثواكلٍ ينُحْنَ على قبر فقيد وحيد

وقلّما ترى في مقابر القرى بنايةً مرتفعة اللهمَّ الّا مدافن بعض اهل الثروة لكنّك تجد غالبًا فوق القبور صفحة من رخام او من حجر صُلب طُبع على صفحتها صفات الراقد وآيات تعزّي من بقي وتستمطي صلواته يعلوها صليب بسيط تكلّلهُ زهور نضرة ابدًا لانّ ايدي المحبين لا تنفكّ تجدّدها

هذا وان الداخل الى الكنيسة والخارج منها يمرّان بين الراقدين ولا جزع من الموتى هم الاخوة والاحباء والاقارب انتهوا من الرحيل وبلغوا الوطن يُحيّون تحيّة الهاجعين «رقدتم بسلام» او يزاورون مليًّا ان سنحت فرصة فيُقبَّل ضريحهم ويُفاض عليه طيب صلاة ذكيّة ودمع قلب يتلهّف على الفراق ويتوق الى الاجتماع. لا يُنسون ايام السرور والافراح ولا يتشأم من ذكراهم. فربّما يأتي الخطيبان قبل ان ينحنيا تحتَ يد الكاهن المكلّل فيجثوان على قبر والديهما طالبَين بركتهما. وكذلك الطفل الرضيع قبل ان يُحمل الى جرن العماد ربّما وضع على ضريح جدّهِ الراقد حديثًا وقد طال ما بقي لهُ خلفًا. والجالي عن الاوطان لا يزايلها قبل توديع من في المرقد من الاحباب والقافل بعد طول الغيبة لا ينسى زيارة من سافر الى الابدية في اثناء رحلته

لله ما اجمل هذا الائتلاف فالاموات احياء واراهم عن الاعين ستار الابديّة وما حال دون التعاشر. لا تزال الارواح تتواصل مودّتها وان فنيت الاجسام وتتفاوض ألسنتها ولو بلا شقشقة الكلام لان عين الايان لا تنظر الى الموت هادم اللذات ومُفني الاعمار ومعري الاجسام بجعلها كما قال بوسويت (Bossuet) شيئًا لا اسم لهُ في لغة من اللغات بل تعدُّهُ كمخلّص يحلّ قيود النفس الطالبة راحتها في حضن الله فتطير وتستقرّ في دكنة سعادتها. ونعم ما قالهُ الشاعر اللاهوتي دانتي (Dante) في هذا المعنى:

« أما ترى اني دودة خُلقت لتحوّل فراشة ملائكيّة تطير بلا عوائق الى عالم الابديّة » (١

واذا ما اهلّ شهر تشرين الثاني تقاطر الاهلون جماً غفيراً الى الكنيسة والمقبرة يزورون موتاهم ويتحفونهم بصلواتهم. واليك شاهداً على شديد تمسُّك الافرنج بهذه العادة الحميدة يغنيك عن اسهاب الكلام :

وقع الجدال سنة ١٨٦٨ بين اعضاء دار الندوة الافرنسيّة (Corps Législatif) في شأن ابعاد المقابر عن باريس فعارض جول سيمون هذا الاقتراح اشدّ معارضة. ومما قالهُ: « هما يومان في السنة عيد جميع القديسين ويوم الموتى اعتاد فيها شعب باريس ذلك الذي طالما نُسب الى قلة الدين ان يتقاطر الى المقابر افواجاً لا ينقصون عدداً عن الثلاثمائة الف (وكانت وقتئذٍ سكّان باريس الف الف وثلاثمائة الف نسمة) اما ترون انكم بابعاد المقابر تقلّلون عدد الزوّار . . . ومن ثمَّ تضعضعون أشرف ما في الانفس من عواطف البرّ. ذاكم الداعي لتكدير خاطري ». وما كان احرى هذا الخطيب ان يضطرب بالأ. فكم من ضالٍّ عن باب الكنيسة اهتدى اليها في ذينك اليومين يدعوهُ قبر والدٍ او يندبهُ صوت زوجةٍ او لحد ولدٍ حبيب فلا يصمّ عنهم سمعهُ

أجل وثيقٌ هو ركن هذه العبادة لأنهُ مبني على اصح دعائم الايمان المسيحي وذلك ان الكنيسة جسمٌ واحد اعضاؤهُ في السماء منتصرون وفي المطهر منتظرون وعلى الارض مكافحون أفنكرم اخوتنا الظافرين وننسى الجرحى المتكوين ؟ لا لعمري فانَّ محبة المسيح وكنيسته لا تنفصل ما جمعهُ الله

وليس تذكار الموتى هذا اختراعاً حديثاً كما يتوهمهُ من لا معرفة لهُ في التاريخ بل هو عريق في القدم تمتدّ اصولهُ حتى الازمنة الرسوليّة وتشهد بذلك كتابات اقدم الآباء. (٢ مثل ترتليانس في الجيل الثاني فانهُ يذكر الصلوات للموتى كعادة أُخذت عن السلف اعني المسيحيين المعاصرين للرسل. قال القديس اغوسطين (٣ : ان الكنيسة قد رسمت تضرّعات عموميّة لراحة نفوس المائتين في الجمعيّة المسيحيّة دون ان تخصّ

١) Dante : *Purgatoire*, Chant X

٢) راجع مرتيني Martigny : *Dictionnaire des Antiquités*, art. *Fêtes* IX

٣) راجع سيره De cura pro Mortuis gerenda IV

احدهم بالذكر فمن لم يبقَ لهُ على الارض والد او ولد او صديق يذكرهُ تولّت الكنيسة ذكرهُ نيابةً عن الاحباب. وذلك شأن الامّ المملوءَة حبًا ورأفةً». ويُستنتج من كلام فم الذهب (١ في بعض خطبهِ القاها في مقبرة من مقابر انطاكية يوم الجمعة العظيمة ان تذكار الموتى في عهدهِ ربّما كان يوم الجمعة هذه وعلى كل حال لا نشكّ في انَّ الكنيسة جعلت يومًا محدودًا لهذه المبارّ لا نعلم يقينًا تاريخهُ الّا انَّ القديس اوديلون رئيس كلوني (Cluny) في الجيل العاشر عيَّن اليوم الثاني من تشرين الثاني فجرت عادةً اتّخذها اللاتين الى عهدنا ونعم العادة كما سبق القول

٢

هذا ما نراهُ في اوربَّة وما ابعدنا نحن ابناء المشرق المسيحيين عن اقتفاء آثار اخوتنا الحميدة والاقتداء بجميل حرصهم على اكرام موتاهم. تحزن العين ويتوجّع القلب لما نحن عليهِ عمومًا من الاهمال والتهاون في اتمام واجب تفترضهُ العقائد الدينيَّة بل عواطف الانسانيَّة. اين المقابر في غالب انحائنا؟ وليس الكلام عن القرى بل ايضًا عن بعض المدن. اين مرقد المؤمنين والحقل المقدَّس؟ اني استنكف عن الجواب. مقابرنا في الغالب ارض موات بعيدة عن المساكن لا سياج حولها ولا ظلّ صليب يخفرها تأنف الاحياء مقاربتها ولاحرج لان رائحة النتن تنبعث منها على بعد مسافة طويلة. وان قويتَ على قهر حسّك واقتربت رأيتَ ما يتأ لهُ البدن. هنا عظام رميمة وجماجم منتشرة واضلاع منتثرة تطأها رجلك بين التراب وقطع اخشاب بالية. هناك بعض حجار مكوَّمة او سافة تراب رقيقة لا تكاد تغطّي جثة ميتٍ لا يحويهِ تابوت. هذا قبر نبشتهُ الكلاب او بنات آوى فاكلت ما تيسَّر لها. وياليت الوحوش وحدها تثب على المقابر فكم من مرَّة استفزَّ الطمع لصوصًا اشبه بالبهائم فسلبوا ما عهدوهُ على الميت من الحليّ. لا تتهمني بالغلو أيها القارئ اللبيب حسبي الاشارة الى هذه الامور الفجيعة كي تتسابق الى الاذهان صور الاماكن واسماء الاشخاص والحوادث ممّا لا يدع ريبًا لمرتاب

لم نقتص آثار اجدادنا سكّان سوريَّة في الاجيال الاولى. قال الاب جوليان اليسوعي: «ماكان السوريُّون ليرتاعوا من منظر القبور بل يعرضونها على الاعين في

(١ عظة الـ ٥٧ (édit. de Montfaucon)

حدائقهم بالقرب من منازلهم حتى في اسفل مساكنهم » (١ فكان الرجل اذا توفّاهُ الله لم يغيّر مقرّهُ في بيت اجدادهِ بل يتزل في اعماق دارهِ كي يرقد براحة لا تستطيع تكديرها حركة الحوادث الزمنيّة لا يُنسى كما لا يُنسى مَن رقد وطال رقادهُ

وما امتن ما كانت هذه القبور واحكم صنعتها. تُحفر في الصخور او تُنحت في نواويس من الحجر الصلب كي لا تقوى عليها طوارق الحدثان لعلمهم بانّ قصور الاحياء تصير يوماً الى الخراب ولا يأوي اليها الناس الّا بضع سنين ثمّ تغتالها يد الزمان فتصير خرابًا يبابًا. امّا منازل الاموات فانّها تبقى اجيالًا طويلة ريثما تؤوب الى الاجساد ارواحها

وكانت زينة هذه القبور جميلة. وما كان آباؤنا ليكتفوا بتشييد سكناتهم الاخيرة على اساسٍ لا يزعزعهُ الدهر بل يتفاخرون بحسن تنميقها ما استطاعوا كيف لا وهي للمسيحي كدهليز دار السعادة ورواق قصر الخلود ترى عليها رسم الصليب المقدّس او اسم المسيح بحروف مشتبكة (Monogramme) بين اكاليل الزهور او غيرها من النقوش الرمزيّة تصحبها كتابات تارةً تثبت ايمان الراقدين ورجاءهم وتارةً تستعطي زكاة صلاتهم كما ترى في الكتابات الآتية:

« لانك قلتَ الرب معتصمي وجعلتَ العليَّ لك موئلًا لا يصيبك شر ولا تدنو ضربة من خبائك » (المزمور ٩٠ , ٩ , ١٠)

« يتروس بن بارادوس. عيشي كان حسنًا وكذاك مجيئي ورقادي صلوا لاجلي » (٢

ومن اجمل الكتابات وابلغها بوجيز عبارتها التحيّة « بالسلام » ἐν εἰρήνῃ in pace, (٣ تقرأ على اكثر القبور في اوائل النصرانيّة شرقًا وغربًا وتشهد ان الراقد ابن الكنيسة. هي تحيّة المسيح لتلاميذهِ « السلام لكم » اتخذتها الكنيسة في بادئ امرها واستعملتها في رتبها المقدّسة ثم رقمتها على قبور ابنائها. واساليبها متنوّعة دعائيّة انشائيّة « ارقد بسلام الرب ». « عش دائمًا بسلام » او « مع الله بسلام ». « بردّ الله عليك بسلام »

---

١) P. Jullien : *Sinaï et Syrie*, p. 126, 188 ; de Vogüé : *Syrie Centrale*

٢) راجع P. Jullien, *op. cit.* p. 229 ; de Vogüé : *Syrie Centrale* p. 113, planche 91

٣) قد وردت ايضاً هذه الكتابة على بعض قبور اليهود الّا ان الرموز التي تصحب هذه التحية لا تبقى شكّاً في ان المقبورين من النصارى راجع Martigny, *art.* in pace

ومنها ما يُطلب فيها للفقيد ان يحظى سريعاً بمعاينة الله فيقرنون كذلك بوجود مكان ثالث بين السماء والجحيم اذ لا يُشتهى لاحد نوال ما قد ناله او ما يتعذَّر عليه قطعاً نواله

ومنها ما ورد على صورة الجملة الخبرية: «رقد بسلام» — «ارتاح بسلام الرب» — «نقل بسلام (الى الوطن السماوي)» — «استُقبل بسلام» (اي من الملائكة) — «وُلد بسلام» (الى الحياة الابديَّة)

وكثيراً ما يصحب هذه الكتابات اناء الدم وهو الدليــل القاطع على ان الراقد حاز اكليل الشهادة ودخل توّاً في فرح ربّهِ فلا يجوز والحالة هذه الدعاء لاجلهِ بل هو اولى ان يتشفَّع بنا لان الصلاة لاجل الطوباويين اهانة كما صرَّح بهِ اوغسطينوس (١

وربَّما وُجد على القبور شيء من الادعية على من يهتك حمى القبور . وكان عهد السلاطين المسيحيين الاولين بعض السفلة ينتحون القبور خفيــة امَّا لدفن موتاهم في مكانها اذ ما كان يتيسَّر لهم من شدَّة فقرهم انفاق ما يقتضيهِ بناء جديد وامَّا ايضاً طمعاً في سلب الحليّ والنفائس . دونك لعنــةً تظهر ان المسيحين الاولين كانوا يقدّرون سلطة المجامع تقديرهم للاناجيل ذاتها :

« ليكن محروماً مع يهوذا من دفن عليَّ رجلاً آخر . ليحرمهُ الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر الذين اوضحوا القوانين مع الانجيليّين الاربعة » (٢

وما فشا هذا الخلل الّا في الجيل السادس امَّا قبل هذا العهد فقلَّما نرى لهُ اثراً وان وُجد شيء فتراهُ على صورةٍ تُشعر بمزيد الرقة والوداعــة . « ارجوكم بالمسيح الّا يغتصبني احد ولا يخرق حرمة قبري »

ولا يخفى على احد ما في هــذا كلهِ من الدلائل على اعتناء المسيحيين الاولين بقبورهم وموتاهم

فناشدتك الله لِمَ الحرص الزائد ? لِمَ الاهتمام بما هو فانٍ ? هل يمسّ النفسَ من ضرر ان لم يحرِ الجسدَ لحــدٌ او ضريح ? لا وعمر الحق لا يخالج فكر عاقل هذا التوهم الخسيف وان اعتقد ذلك بعض الوثنيين من القدماء واليه قد اشار الشاعر اللاتيني (فيرجيليوس) بقولهِ (٣ :

١) في عظة ١٥٩ ٢) راجع Martigny, *art.* Anathème
٣) Virgile, Enéide L. VI v. 327-328

« لا تستطيع الروح مزايلة هذه الشطوط الفظيعة ولا مجاز النهر العجّاج (١ قبل ان ترتاح العظام في اللحد »

وذهب بعض اعداء النصرانيَّة في اوائلها ان اعتناء المسيحيين بدفن موتاهم وانكارهم لحرق جثث الموتى كما جرت العادة مدَّةً بين الرومان انما هو ناجم عن خوفهم ان تتعذَّر قيامتهم ولكنَّهُ قد افترى مَن قذفنا بمثل هذه الحماقة وقد زدَّ منذ اجيال على فاسد مُدَّعاهُ مينوسيوس فيليكس (Minutius Felix) قائلًا: « اما هي حماقة لا نهاية بعدها ان ننكر على الرب الذي خلق الانسان وانتشلهُ من العدم القدرة على نشره من القبر كما كان . . . اننا لا نخاف من حرق اجسادنا ولكنَّنا نتبع احسن عادة واقدمها»

هذه العادة التي هي الاقدم والافضل قد اخذها المسيحيون عن الآباء والانبياء وخصوصاً عن السيد المسيح لهُ المجد وقد « وُضع في قبر منحوت لم يكن قد قُبر فيهِ احدٌ » . وكان في هذه الآية تعليم لنا فقفتهُ الكنيسة منذ الابتداء ومشت بموجبهِ حتى في رسم قبور ابنائها

وان اردنا الداعي الاخير في ذلك اجاب الى سؤالنا القديس اغوسطينوس(٢ :

« لا نهملنَّ اجساد الذين ماتوا لاسيما المؤمنين واهل الصلاح فانَّها آلات يحركها الروح القدس لكل اعمال البرّ

« يضنُّ البنون بثوب والدهِ او خاتمهِ الى غير ذلك ويزيد تنافسهم بذلك على قدر حبّهم للاقارب فكيف بالاجسام وهي ليست فقط لباساً او زينةً للانسان بل جزءًا من طبيعتهِ . ولذا كان يُعتنى كل الاعتناء في العهد القديم بجنازة الاصدقاء ودفنهم حتى انهم هم انفسهم اوصوا بنيهم بحسن القيام بهذه البارّ الاخيرة او بنقل اجسادهم من مكان الى آخر . هذا طوبيا البار قد أُثني عليهِ لانهُ كان يدفن الموتى وشهد لهُ الملاك انهُ نال من وراء ذلك حظوةً في اعين الله . والمسيح لهُ السجود وان كان عارفاً بقيامتهِ من الاموات بعد ثلاث فقد مدح فعل تلك التي افاضت عليهِ طيباً ذكيًّا لدفنهِ وامر بالانذار بهِ في المسكونة كلها تذكارًا لها (لوقا ٢٣)

نعم ان لا يستدلّ من هذه الشهادات ان في جثث الموتى ادنى حسٍّ ولكن ان

١) نهر الستيكس (Styx) الذي في معتقدهم الفاسد يجب عبورهُ قبل الدينونة والراحة الابدية

٢) راجع كتاب «مدينة الله» للقديس اغوسطينوس ك ١ ف ١٣

الباري يحيطها بعنايته الالهيَّة لاجل الايمان بالبعث فضلًا عن ان هذه الاعمال المبرورة مقبولة لديه ». اذًا نكرّم اجسام المؤمنين لانها هيا كل الروح القدس ولكي يتقوَّى فينا الايمان بالبعث

وهناك سبب آخر اشار اليهِ القديس المذكور وهو ان القبور تذكّرنا بمن مات كي نصلّي لاجلهِ ان كان في حاجة الى ذلك او نصلّي اليهِ ان كان ممن نشر الله عرفَ فضائلهِ وزاد كرامته عنده. ويؤيد هذا القول اسم القبر عند الروم واليونان μνημεῖον memoria تذكارًا او ذاكرة (١. وعليهِ كان المسيحيون الاوَّلون يرغبون في تشييد مقابرهم بالقرب من ضرائح القديسين فاذا أمَّها الزوَّار قَصْد التبرك بها صلوا عندها ايضًا لمن طلب جوارهم على الارض كي يحظى بسعادتهم في السماء.

هذا وان لم يتيسَّر لنا دفن احبائنا بالاكرام الواجب فلا يجوز اهمال التضرّعات التي ترفع الى عرش العزَّة الالهيَّة بايمان صحيح (٢ وتتقوى لاجل الموتى والَّا فلا فائدة مطلقًا للنفس ان يكون الجسد مدفونًا في اي مكان مقدَّس كان

وبالاحرى لا فائدة البتة لمن اكتفى بتشييد ضريح شائق على جثمان فقيدهِ إِنْ لم يَسْعَ في اسعاف نفسهِ بالمبرَّات لاسيا تقدمة الذبيحة الالهيَّة كي يُنيلها الله الراحة الدائمة

فتوى المقتطف في الضمير

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

للمقتطف فتاوى لم تدُر على خلَد احد من ائمة الحكماء. وهي اذا عُرضت على محكّ

---

١) راجع عظة القديس اوغسطينوس السادسة عن الموتى. هذا ولا يدحض هذا القول ان الاسم المذكور وُضع قبل النصرانيَّة لان الكنيسة اثبتت ما كان مطابقًا لعقائدها تبًّا تنيَّر ما علّمتهُ الطبيعة

٢) اننا نقرأُ في سفر المكابيين (١٢–٤٣) انهُ قُدمت الذبيحة لاجل الموتى وان لم يرد شيء من ذلك مطلقًا في كلّ الاسفار القديمة فخطير هو حكم الكنيسة الجامعة مثبتةً هذه العادة لتنال انفس المائتين حظها في الصلوات التي يتلوها الكاهن على مذبح الربّ. قال القديس اوغسطينوس: « قد احسن الرسل اذ اوصوا ان تذكر الموتى في وقت الذبيحة المقدَّسة لعلمهم حق العلم ان للموتى من هذه الصلوات عظيم الفائدة »
S' Jean Chrysostôme, Hom. 69 ad pop.

العقل وجدت اوهى من نسيج العنكبوت. ومن يطالع هذه المجلة لا يكاد يجد فيها عددًا خاليًا من مثل هذه الاقاويل السفسطيّة التي تموّه الباطل بزخرفة الكلام. ولو حاولنا ان نفند هذه المزاعم فردًا فردًا لضاقت عن الردّ صفحات مجلتنا مع رحبها. ومما ورد من ذلك في العدد الاخير (تشرين الاول ص ٧٩١) جوابهُ على سؤَال اقترحهُ عليهِ يعقوب افندي سمعان « هل يبقى ضمير الانسان على حالة واحدة » فافتى المقتطف بما حرفهُ :

« ان الضمير او الاخلاق الادبية كلها لا اثر لها في الجنين ثمَّ تظهر جراثيمها في الطفل بعد ولادتهِ وتنمو فيهِ رويدًا رويدًا. ومعلوم انَّ الانسان من حين تكوُّنهِ الى ان يبلغ تمام نموّهِ يمرُّ على الادوار التي مرَّ عليها نوع الانسان في ارتقائهِ وذلك تاريخ موجز لنوع الانسان من حين كان مثل ابسط انواع الحيوان. ويظهر من هذا التاريخ انَّ الاخلاق الادبيَّة قد ارتقت وتنوَّعت كثيرًا ويؤيّد ذلك ما نراهُ من الفرق الكبير بين طوائف الانسان الان فان ضمير المتوحّش الذي لا يحرّم قتلًا ولا سرقة ولا كذبًا ولا خداعًا احطّ من ضمير الرجل الفاضل الذي يعرف ما عليهِ ويحاسب نفسهُ على كل هفوة »

(قلنا) انهُ لقد اخذنا العجب من صاحب المقتطف الفاضل الذي « يحاسب نفسهُ على كل هفوة » كيف لم يضبط نفسهُ عن مثل هذه السفاسف. فانَّهُ خبط في هذه الاسطر الوجيزة خبطًا دونهُ خبط العشواء. وليعلم القرَّاء انَّ تعرُّضنا لمثل هذه الاقاويل ليس هو من باب اللاجّة والمماحكة بل صيانةً للمبادئ الصحيحة التي عليها يقوم شرف الانسانيَّة واليها تستند اركان الآداب الحسنة والدين القويم ها نحن نسبر قولهُ السابق بمعيار العقل ليرى العقلاء انَّهُ خلوٌ من كلّ صواب

قال المقتطف في جوابهِ : « انَّ الضمير او الاخلاق الادبيَّة كلها لا اثر لها في الجنين »

نطلب من المقتطف اين وجد انَّ الضمير مرادف للاخلاق الادبيَّة كلها ؟ فلا يحسن برجل يلقّب نفسهُ في صدر مجلّتهِ « بدكتور في الفلسفة » ان يخلط مثل هذا الخلط فانَّ الضمير شيء والاخلاق الادبيَّة شيء آخر ولو راجع صاحب هذا القول في بعض كتب الفلاسفة تحديد الخُلق الادبي والضمير لفهم انهُ على شطط ظاهر

فانَّ الخُلق حالةٌ ثابتة تتَّصف بها النفس فتحملها امَّا على صنع الخير وهي الفضيلة وامَّا على الشرّ وهي الرذيلة. امَّا الضمير ويُقال لهُ ايضًا الذمَّة فهو قوَّة باطنة من قوى

العقل تحمل الانسان على عمل الخير لما فيه من الصلاح وتنكبهُ عن الشر لما فيه من الطلاح فكيف مزج « الدكتور في الفلسفة » هذه الامور المتباينة ؟ أتراهُ نسي الفلسفة التي نال فيها شهادة الدكتورية ؟

ولعلَّهُ يقول ان مجموع الاخلاق الادبيَّة هي الضمير فنجيب ان مجموع الشيء لا يغيّر طبيعتهُ واذا اجتمعت الاخلاق الادبيَّة فلا تزال الاخلاق صفات تتكيَّف بها النفس ويبقى الضمير قوَّة محرّضة على عمل الخير واجتناب الشر

ثم قال المقتطف اثارهُ الله « انَّ الضمير او الاخلاق الادبيَّة لا اثر لها في الجنين ». لله درهُ من فيلسوف محنَّك اخذ الحجر وشرَّح الجنين فلم يرَ تحت مبضعه اثرًا للضمير. بئسًا لك ايها المادّي أتظنُّ انَّ الضمير يصل تجد جرثومتهُ في الجنين ؟ ولو فقهتَ معنى الضمير وعرفت انَّهُ قوَّة من قوى العقل لما بحثت عمَّا لا تدركهُ العيان كما انك لو توضَّحت كلَّ اعضاء الانسان وشرطتها بالمشرط لما رأيت للنفس البشريَّة ولعقل الانسان اثرًا ماديًا. ولا تجهل انَّنا أقفلنا لك باب الخصام من هذا القبيل يوم فنَّدنا قولك في العقل البشري (المشرق ١ : ١٠٠٩) فسكتَّ خوفًا من الفضيحة

ثم اردف « الدكتور في الفلسفة » قولهُ عن الضمير (او الاخلاق الادبيَّة على زعمهِ): « ثمَّ تظهر جراثيمها في الطفل بعد ولادته وتنمو فيهِ رويدًا رويدًا ». أيلومنا احد القرَّاء بعد ذلك ان ننسب المقتطف وصاحبهُ الى قول أوخم الماديين اذ جعل الضمير كاعدى خلايا الدماغ التي لا اثر لها في بادئ الامر ثم تظهر في الصغير الى ان تتوارد عليها اطوار النموّ. ننشدك الله ايها المقتطف لانَّ مجبرك أطلعك على جراثيم الضمير ألا تلاطف بجهالة القوم مثلنا فترسم لنا شكلها في مجلَّتك العلميَّة علَّنا نتمتَّع نظرنا برؤيتها فنكون لك من الشاكرين

وزاد « الدكتور في الفلسفة » ضمنًا على أيالة فقال: « انَّهُ معلوم انَّ الانسان من حين تكوُّنهِ الى ان يبلغ تمام نموهِ يمرُّ على الادوار التي مرَّ عليها نوع الانسان في ارتقائهِ وذلك تاريخ موجز لنوع الانسان من حين كان مثل أبسط انواع الحيوان »

لم يكتفِ المقتطف بان يجعل ضمير الانسان جرثومةً ماديَّة فاراد ان يبيّن لقرَّائهِ انَّهُ يعتبر كلَّ النوع البشري كاحد انواع البهائم ومتسلسلًا منها على رأي دروين فوافق بقولهِ صاحبنا كاتب الضياء « خليل بك السعد » المساوي بين عقل الانسان والحيوان

فجرى الكاتبان كفرسي رهان في ميدان واحد. فما ظنك ايها القارئ اللبيب بكلف هؤلاء القوم بالبهائم وانتصارهم لها وانتمائهم الى هذا النسب الشريف؟ افٍ للضلال ما أقبح عاقبته

ثم واصل المقتطف فتواهُ عن الضمير بان قال: «ويظهر من التاريخ انَّ الاخلاق الادبيَّة ارتقت وتنوَّعت كثيرًا الخ» فهو بذلك عقانا بمعرفته في فنّ التاريخ ألا انهُ أشعر بقصر باعهِ في الفلسفة اذ انتقل من الكلام عن الضمير الذي خلطهُ بالاخلاق الادبيَّة الى الكلام عن الاخلاق الجنسيَّة او الأمميَّة المراد بها التمدُّن والاناقة. وفي كل ذلك شطط عظيم كما لا يخفى

وقد ختم المقتطف فتواهُ عن الضمير بذكر ضمير المتوحّش وعرضهِ على ضمير الرجل المتمدّن فقال: «انَّ ضمير المتوحّش لا يحرّم قتلًا ولا سرقةً ولا كذبًا ولا خداعًا» فنطلب من «الدكتور في الفلسفة» متى ولج في ضمير المتوحّش ليعرف أنهُ لم يحرّم على نفسهِ قتلًا او سرقة. وقد شهد لنا كثيرون من المرسلين الكاثوليكيين الذين رأيناهم انهم وجدوا لمتوحّشي اوقيانية واقاصي الجزائر ضميرًا رادعًا عن كل هذه الآثام بل شاهدوا من استقامتهم ما لم يجدوهُ في كثيرين من المدّعين بالتمدُّن. واذا فرط من بعض المتوحّشين بعض اعمال فظيعة فما ذلك لخلوّهم من الضمير بل هي نتيجة عادتهم الباطلة لاصنامهم او بالاحرى للابالسة الذين يغوونهم ويزجّونهم في كل اصناف الآثام. وكم يفعلون ذلك بالمتمدّنين بالتمدُّن كما تروبهِ لنا كل يوم جرائد الطوائف المتمدّنة. ومن اعمالهم خزاهم الله انهم يسوّلون لبعض الكتبة ان ينقضوا اركان الدين والآداب ويعلّموا الناس انَّ الضمير والعقل من الجواهر المادّيَّة. لا حرج على من يصمّ الآذان عن سمع صوتهما في داخل القلب كما هو شأن المقتطف هداهُ الله الى صراطهِ المستقيم ووقانا من الانخداع بتعاليمهِ الفاسدة الكفريَّة

انقطاع خليل بك السعد عن الجواب

لمدير الجنَّة

ذكر «حضرة الكاتب الفاضل خليل بك السعد» طريقًا وعرة يوم حاول ان يدافع عن عقل الحيوان فتقصّينا آثارهُ وبيَّنا لهُ بالادلَّة العقليَّة (المشرق ٢: ٧٥٣) انَّ

قولهُ مبنيّ على شفير هار . فترك ادلتنا كما هو شأن اهل السفسطة والتجأ الى الكتاب الكريم لعلّهُ يجد فيه حجة فتأثرنا أعقابهُ ودحضنا اوهامهُ . وفندنا قولهُ في اثبات العقل للحيّة التي خدعت في الجنّة ابوينا الاولين . فلمّا ضاقت عليهِ المسالك فهم انَّ السكوت أسلم لشرفهِ لكنّهُ أنف ان يمرَّ بكسرتهِ فظنَّ انَّ اقرب وسيلة للتملّص من هذه الردغة ان ينسب سكوتهُ لقلة ادبنا في المناظرة . وهي لعمري حجّة غريبة لم يتخيّلها غيرهُ وان كان صادقاً فليأتِ بكلمةٍ واحدة اخترمنا فيها لحرمة الادب وليحكم بيننا اهل النزاهة والانصاف من ايّ دين كانوا . فان حكم علينا منهم احدٌ لم نتردّد في الاستغفار من حضرة خصمنا . ولا يقولنَّ حضرتهُ أننا نسبناهُ الى « المماحكة والتمويه » فايّ تمويه اعظم من نسبة العقل للعجماء وحطّ شأن الانسان الى دركات البهيمة ؟ . وان قال اننا نسبناهُ الى « الآراء الكفريّة الفاسدة » فليت شعري ايّ كفر افظع من هذا الكفر الذي يقوّض اركان كلّ الاديان المبنيّة على علوّ مرتبة ابن آدم وتوسطهِ بين عالم الارواح وعالم الهيولي ؟ . أفيقول أننا اسأنا بلامة صاحب الضياء على نشرهِ في مجلّتهِ مقالةً كفريّة ؟ فنجيب انَّ جمهور علماء اللاهوت الادبي قد أجمعوا على انَّ المجلّات مأخوذة بما يبرز فيها من المقالات الفاسدة وان صاحبها مسؤول عن الشرّ الناجم عن قراءتها ولا يجوز لاحد من الكاثوليك ان يطالعها . تلك فتوى افتوا بها استناداً الى المبدإ المشهور : انَّ المساعد على الشرّ كفاعلهِ

فان كانت هذه هي اقوالنا المخالفة لخطّة الادب فأننا نقرّ بها ونثبتها من جديد امّا غير ذلك فلا . وعلى كلّ حال أننا لم نقرّع جناب البك بمثل قولهِ فينا « انَّ عجز الحجّة ساقنا الى البذاءة والتطاول » وقولهِ « اننا قابلناهُ من اللفظ الخارج عن خطّة الادب بما لم يكن صدورهُ من قلمنا اشدّ استغراباً من صدورهِ من مطبعتنا ودروجهِ الى عالم القرّاء » وأننا خضنا في حمأة لم يرضها لنفسهِ فلا يتلطّخ باوزار البذاءة » وقولهِ « انَّ رؤساءنا لو اطّلعوا على ما خطّتهُ يمينا . . . لقيّدوا قلمنا عن الجري بما يشوّه كرامتهم ويطلق الالسنة فيهِ بما يسوءهُ سماعهُ » فايم الله ان كان ادب المناظرة يكون على هذه الصورة فلا ادري كيف تكون خشونتهُ وجلفهُ

هذا ونصرّح لجناب البك أننا مستعدّون لمقاومة رأيهِ الفاسد اذا عاد الى المدافعة عنهُ لا يثبطنا عن ذلك مثبطٌ ما مسكت يمينا قلماً

تفلية مجاني الادب

لجامع المجاني ومصحّحهِ

تحرّى جناب اللغويّ الشهير الشيخ ابراهيم اليازجي غاية همي تعم الغاية (لولا أنها ناتجة عن هوى) وهي تفلية كتاب مجاني الادب الذي تولّينا طبعهُ منذ خمس عشرة سنة. ولكن يسوءنا انَّ الشيخ يضيع وقتهُ الثمين ويكدّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ في إصلاح اغلاط تداركناها قبلهُ منذ زمن مديدٍ فاصلحناها في طبعات هذا الكتاب المختلفة. فتُرى ماذا يقول عنّا القرّاء لو حاولنا اصلاح الاغلاط التي وردت في الطبعات الاولى من كتبهِ ألا ينسبوننا الى التعنُّت والقحة. وزد على ذلك انَّ اصلاحنا لكثيرٍ من هذه الاغلاط خيرٌ من اصلاح الشيخ لأننا نستند الى روايات صحيحة نجدها في نُسخ قديمة منها مطبوعة ومنها خطّيَّة بينما الشيخ يسندها الى الحدس والتخمين. مثال ذلك ان الشيخ اصلح هكذا قول ابن التعاويذيّ (المجاني ٥: ١٢٥):

من كلّ رحب المعى واجوفَ نا ريّ الحشا لا يمسُّهُ الشَّبعُ

وفي رواية ابن خلكان التى صحّحنا عنها روايتنا منذ ثلاث سنَوات جاء البيت:

من كلّ رحب المعاء اجوفهِ ناري الحشا لا يمسُّهُ الشبعُ

وهذه الرواية اجود وإن اجاز الشاعر تخفيف الياء في « ناريّ ». بل ربّما شوَّه الشيخ الروايةَ الاصليَّة بتصحيحهِ الموهوم كقولهِ في البيت التالي لابن التعاويذي (وهي روايتنا المصحّحة عن طبعة ابن خلكان):

حاشا لوسم الكريم يُنسخ من نسخ دواوينكم فينقطعْ

فروى الشيخ: « يُنسخ في نَسْخ دواوينكم »: و« من » اصح كما ترى

وقد زعم الشيخ أنّنا صحّفنا بيتاً لابن حمديس (المجاني ٦: ١٨٣) فروينا « كأنّما أللازوردُ » بدلًا من « كانَّ ماء اللازوردِ » فتفكّه في حقّنا (والتفكّه اولى بالآخر). فالصواب انَّ هذه القصيدة لم تُروَ في نُسَخ ابن حمديس الخطّيَّة وقد نقلناها عن كتاب نفح الطيب (طبعة بولاق ١: ٢٣٢) ورُوي هناك بالغلط: « وكأنّما اللازورد فيهِ مخرَّم » فحذفنا في روايتنا لفظة « فيهِ » لاستقامة الوزن وقطعنا همزة آل. ثمَّ اصلحنا هذه الرواية على صورة اخرى في طبعتنا الاخيرة بما رأيناه اقرب الى الاصل« وكأنّما اللازُرْدُ

فيهِ مخرَّم » بكتابة لفظة « اللازورد » على حسب اصلها الفارسي · فترى من ثمَّ انَّ دعابة الشيخ عليهِ لا لهُ ويحقّ لنا ان نعكس عليه قولهُ فينا «سبحان مفرّق الذكاء» على المنتقدين

امَّا انتقاد الشيخ على لفظتين وردتا في المجاني (٣: ٢٦١و ٢٦٤» عن القزويني فلا نسلّم بهِ لانَّ الرواية التي اخذناها عنها (طبعة ليبسيك ص ٢١ و ٢٤ المنقولة عن اربع نسخ قديمة) دوت كما روينا فجاء فيها: « وسببهُ (اي كسوف الشمس) كون القمر حائلًا بين الشمس وبين الابصار لانَّ جرم القمر كمد (كذا) فيحجب ما وراءهُ عن الابصار » فروى « كمدّ » بتشديد الدال لا « كَمِد » كما صحّح الشيخ · يريد الكاتب ان كسوف الشمس يحدث عند إبدار القمر واستدارتهِ على شكل مدّ · وماذا يا ترى يفيد لون البدر الكَمِد في حدوث كسوف الشمس ؟ فليجب جناب الشيخ · وروت طبعة ليبسيك عن المجرَّة انَّها البياض« الذي يقال لهُ سرج (كذا) السماء » بالسين لا بالشين. فاذا وجد الشيخ نسخة خطيَّة ترويها بالشين اسرعنا الى اصلاح الغلط

هذه ملاحظاتنا على انتقاد الشيخ ونكرّر الرجاء ان يواصل انتقادهُ مستندًا الى طبعاتنا المصحّحة ليكون شكرنا لهُ بحثًا صافيًا فلا يعزى الانتقاد الى غرض وهوى

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعي (تابع لما سبق)

وكانت غاية نسيب بجوابهِ السابق ان يُبعد فاضلًا عن عدوّهِ بروسبر اولري فيبقى بروسبر وحدهُ ضالًا في تلك المضايق ويموت من شدَّة البرد · امَّا فاضل فرأى ان الانسب لهُ ان يتبع نسيبًا الى مدينة داقسون فيستريح هناك ممَّا لحق بهِ من شدَّة الضنك والالم بعد تلك الفاجعة التي وصفناها · فاستسلم لقيادتهِ

ثم انَّ نسيبًا اخرج خارطةً من جيبهِ واخذ ينظر فيها فقال : ان هذه البحيرة التي نشاهد مياهها المتلألئة امامنا هي بحيرة « لندرمان » Lindermann امَّا البحيرة الثانية فلا ادري ما اسمها

فقال احد الهنود هي بحيرة بنيت (Bennett)

— وكيف نجتازها ؟